أحاديث من التُراث

ازدهار عبد الحليم الكيلاني

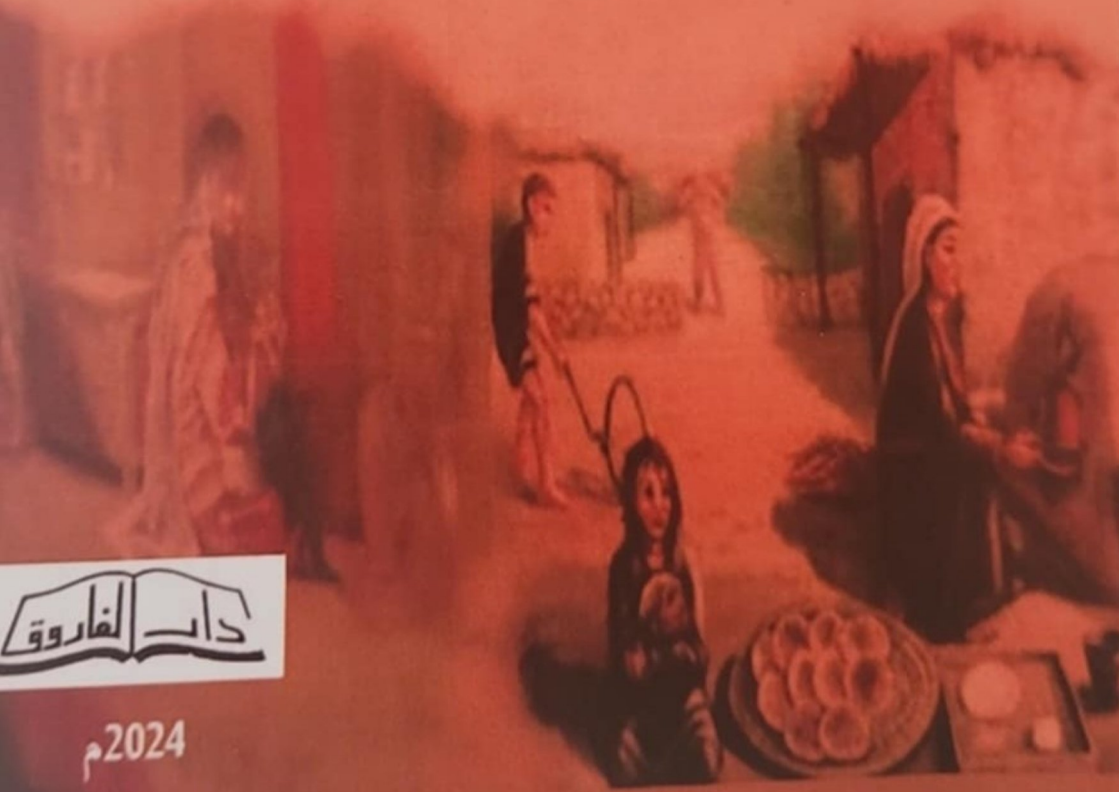

دار الفاروق

2024م

أحاديث
من التراث

أحاديث
من التراث

ازدهار عبد الحليم الكيلاني

2024م

تدقيق ومراجعة

د. حسن أبو الرُّب

منشورات

للثقافة والنشر

نابلس–فلسطين

2024م

الكتاب: أحاديث من التراث

موضوع الكتاب: قصص وحكايا من تراثنا الفلسطيني

الطبعة: الأولى حزيران 2023

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

منشورات

للثقافة والنشر

شارع جمال عبد الناصر – نابلس – فلسطين
تلفون: 00970/9/2313969
Email: abu_rafat_be@hotmail.com
المعرض: شارع سفيان-مجمع القوقا التجاري
الطابق الأرضي تلفون: 00970/9/2338219
نابلس – فلسطين
2024م

الإهـــداء

إلى

الأرواح التي سبقتنا، وما تزال ذكراها في القلب والعقل

أبي، أمي، أخي

إلى

الذي مدّني بالهمّة والتحفيز؛ فكان العون السَّند،

زوجي العزيز،

ووالده ووالدته رحمهما الله

إلى

من أناروا بصيرتي للحياة، وأوقدوا شموع الأمل ومشاعل البشرى لأكمل مشوار حياتي . . . أبنائي وبناتي حفظهم الله

إلى

كلّ من شَجّعَني ودَعَمني، ولو بكلمة، أقاربي وصديقاتي

جزاكم الله خير الجزاء

الفهرس

تقديـم:

قصة (1)

قولنا:" لعله خير"

يشيع بين الناس قولهم: " لعله خير"، حين يتناقشون، ويعجبون لما يحدث لهم، ولا يستطيعون تفسيره. وقولهم هذا مستوحى من قوله تعالى:" وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم". وعليه نسوق القصة الآتي:

كان يا ما كان

كان هناك مَلِكٌ مِنْ مُلوك الزمان، طول الوقت يعتمد على وزيره الأول. وفي يوم من الأيام، سَقَطَ الملكُ ووقعَ أرضاً، فَقُطِعَ أصبعه!

فأخبرَ الوزير بذلك، فأجابه الوزير :(لعله خير)!

غَضِبَ الملكُ من الوزير، وَوَضَعَهُ في السجن!

أهل القرية زاروا الوزير في السجن، فكرر قوله: (لعله خير) !!

خرج الملك إلى الصيد، ذات يوم من الأيام، فوقع هو وحاشيتُه بين يدي قطاعي الطرق!

فاصطفهم القطاعون بالدور كي يقدّمونهم قرابين! لكن القرابين يجب أن تكون سليمة خالية من العيوب، فجاء دور الملك، وحين فحصوه، وجدوا أصبعه مقطوعاً!!

فرفضوا أن يقدموه قرباناً.

فرح الملك كثيراً وقال: (لعله خير).

وحين عاد إلى مملكته، طلب إخراج الوزير من السجن، فخرج، وحين امتثل الوزير بين يديه قال له الملك:

- لولا كلمتك (لعله خير) لكنتُ الآن من القرابين!! لذا لا يجب على الإنسان أن يحكم على الأمور من ظاهرها، فربما كان في باطنها الخير، وهذا مصداق لقوله تعالي (وعسى تكرهوا شيئاً وهو خير لكم).

❁❁❁❁❁❁

قصة (2)

" بعد ما شاب، ودّوا عالكُتّاب"

هذا مثلٌ شعبي، نستعمله كثيراً، وأحياناً في مقام التنمّر أو التحسر دلالة على فوات الأوان، وربما قيل لي وسمعْتُهُ أنا شخصياً، وكنتُ أشعرُ بالضيق، ففيه بعض السُخرية، وهذا ما يبعث الألم. قصة هذا المثل تشتمل على عبرة مؤثرة، وهي:

يحكى أنّ امرأةً كبيرة في السنّ، لا تقرأ، ولا تكتب، لكنّها كانت تحبّ العلم، والمتعلمين، لذا حرصت على أن يكون ابنها متعلماً ناجحاً.

حين كبر ابنها ونجح، وأراد أن يكمل دراسته، أرسلتْهُ لخارج البلاد ليواصل تعليمه، وهناك بدأ يراسِلُ والدتَهُ، ليظمئنَ على صحتها، ويُطَمئنُها على أحواله.

لكنّ الأم كما قلنا كانت لا تقرأ ولا تكتب، وكلّ يوم تصل فيه رسالة تأخُذُ الرسالة للطلاب الذين يتعلمون في الكُتّاب، ليقرأوا لها الرسائل، لكنْ أطفال القرية سخروا من كثرة ذهابها وإيابها، وهزئوا بها! فأخذت تبكي، وتبلل الرسائل بدموعها، حسرة على نفسها، وشوقاً إلى ابنها.

وفي يوم من الأيام، جلست على أول الطريق تبكي، على غربة ابنها، والرسائل بيدها، وإذ بشابّ متعلم يمرّ من طريقها، فالتفتتْ إليه، وطلبت أن يقرأ لها الرسالة. فقرأها الشابّ، فاطمأنت قليلاً وهدأ بالها.

ثم جاءها خاطر، أن تبدأ بتعلم الكتابة والقراءة وتستغني عن خدمات المتعلمين في قراءة الرسائل. وفعلاً، ذهبت إلى الكُتّاب وسجلتْ فيه، وبدأت تتعلم.

ومع مرور الوقت، أصبحت تُحسِنُ القراءة والكتابة، واستغنت من الذين كانوا يقرأون لها رسائل ابنها المغترب، وصار يُضرَبُ بها المثلُ " من بعد ما شاب، ودّوا عالكُتّاب".

❁❁❁❁❁❁

قصة (3)

صلاة الغولة مش مقبولة.

هذا المثلُ دارجٌ على بعض الألسن، في بلاد الشام وبخاصة في الأردن، وهو يقال في سياق الذم والنقد لمن يصلي ويفعلُ الخير ثم يخلطه بعمل السوء، ويؤذي الآخرين.

وهو مما ورد في تفسيره، أنّه قيل في امرأة، كانت تصلي الصلاة في أوقاتها، لكنّ صلاتها تبدأ وتنتهي بالشتائم والمسبّات، وقد اعتادت على أذية الناس والجيران، لم تكنْ تستطيع أن تقرأ القرآن؛ لأنها لم تتعلم. لكنّها حاولت، فقد كان ابنُها حين يعود من عمله يُجرّب أن يعلّمها شيئاً، لكنْ دون جدوى، رغم محاولاته المتكررة. والغريبُ أنها كانت تتعلم شيئاً بطريقة الشتيمة، فكأنّ هذا يناسبها أكثر من الطريقة الصحيحة!

وقيل إنّ ابنها أوصى جاراتها أنْ يحاولن تعليمها عن طريق الشتائم، فاستجاب طبعها لذلك، وحفظت بعض الأمور، لكنّ أذاها عمن حولها لم يتوقف، فكانت النسوة يضربْنَ بها المثل في تضييع الأجر ويقلن: (صلاة الغولة مش مقبولة). وذاك أن الغول أو الغولة في المفهوم الشعبي، يؤذي الناس بالقتل أو السرقة أو الفتنة، ويتظاهر بعمل الصالحات وإقامة الصلوات.

سأحدّثكم عن أمّي. . . ! !

المثابرة الصابرة

الرضا والقناعة والمثابرة والفخر، صفات بارزة، من صفات أمي، الحاجة صبحية محمد الشيخ نصار الكيلاني.

كانت دائماً تشعرُ بالرضا لكلّ ما حدث في حياتها، سواء أكان سبّبَ لها الفرح أم الحزن! وهذا الرضا منحها الشعور بالقناعة بما قسَمَه الله لها، فكان لديها الشعور بالسعادة. وهي مثابرة، لا تيأس، تبذل جهدها وتحاولُ دائماً أن تكون أفضل. وكانت تشعر بالفخر لما تقوم به كزوجة وكأمّ وكمواطنة، صادقة ومخلصة ووفيّة!

هذه الصفات، عاشت عليها، وأصبحت جزءاً من شخصيتها، لذا ربّت عليها أبناءها، فكانت قدوة في العمل والصبر والمثابرة والأمل. حياتها لم تكن سهلة مُيسّرة، بل عانت فيها كثيراً، وربما كان ذلك ميزة اشترك فيها الناس في ذاك الزمن، قبل أن تأتي الآلة وتوفر على الإنسان الجهد والتعب.

أمي...

جعلت اليأس بعيدا عنها، شَطَبَتْهُ من قاموس حياتها...

ثابرت، وعانت، وتحملت، وعاشت أقسى الظروف، فترة غياب ابنها عنها، وقد طال الزمن وهي تبحث عنه، دون يأس أو ملل!!

كانت تنهضُ من فراشِها، تسْمَعُهُ يناديها ويناجيها، ومع كل طلوع فجر تسعى للبحث عنه من جديد، بكل صبر وأمل وثقة!!

كان لديها من الإيمان والعزم والأمل، ما يفوق قدرة الانسان على تحمل المصاعب والمخاطر.

اجتازت حواجز كثيرة، وسارت في شوارع وحارات مدن باحثةً عنه، آملةً لقياه!! بقيت مُصرّةً على أنها ستعثر عليه، بأية وسيلة ولن تفشل. اتجهت لرؤساء مجالس بلدية ولصحفيين، لجأت لجميع الوسائل .رفضت الاستماع لكلّ من حاول ثنيها عن البحث، وأن تقتنع أن ابنها لن يعود!! رفضت كلّ النصائح التي تريدها أن تكفّ عن البحث، وتبقى في بيتها منتظرة!!

كانت تستمد العزم والمثابرة ومواصلة من البحث من إحساسها كأمّ، أنّ ابنها على قيد الحياة، ما يزال منتظراً مجيئها!! رغم أثقال الحياة التي تعيشها، فالأسرة بحاجة لها، زوجها المريض، وأبناؤها الصغار...لكنها رغم ذلك حاولت التوفيق

بين كل هذا، ولم تفقد الأمل، ربما أصابها بعض شعور الضعف أحياناً...لكنها لم تظهر هذا الشعور لأحد أبداً...لم يرَ الناس منها إلا القوة والصبر!!

بقيت صامدة صابرة مثابرة، رغم أنها عانت، وبكت، وناحت، وبنواحها أنصَتَ لها الطيرُ والنحلُ والغراب والهدهد، فناجت وحاكتْ الطيور؛ لأنها قطعت الأمل من بني البشر.

وانتظرت على الطرقات، لعله قد يعبر آتياً من حافلة أو قطار. وظل الأمل رفيقها.

لعل ابنها يرجع إلى حضنها!! وهي راضية بما سيكتبه لها الله.

وذات يوم ثقيل...بلغت فيه القلوب الحناجر، أراد الله لهذه المعاناة أن تتوقف! فأنعَمَ عليها، وردّ لها ابنها، كما تمنتْ!! فرَحَتْ كثيراً، وذَرَفَتْ دموع الفرح، وظلّتْ تشكر الله صلاة وتسبيحاً!

ما أعظمك يا أمي!

أنتِ أعظم النعم، وأغلى المِنَح، يا حبيبة القلب، يا روح الحياة...!!

رحمةُ الله عليك واسعة، وأسكنك ربي فسيح جناته.

سألوني من هي أمك؟؟

فقلت: هي التي تقول: أنا لم أبعْ كرامتي، حتى إن طوى التراب أنوثتي، فأنوثتي ملك كرامتي، وكرامتي تزيد بريق أنوثتي.

وهي التي كانت تقول: أنا لستُ ناقصةً، ليكملني الرجل، ولستُ عورة ليسترني، وأنا التي لم تكتب همومها على جدران قلبها، ولم تَبُح بها سوى لربها. وأنا التي ربيّتُ نصف المجتمع، ربيّتُ رجالاً، أعطيتهم الأمان، والثقة، والكرامة.

إنّ جمالي يكمن في عزتي وحيائي .وقوة جاذبيتي مبعثها الإيمان والعظمة.

صنعتُ السعادة لنفسي ولم أنتظرها من أحد.

أمّي، هي من حَددتْ شخصيتها وصفاتها وكرمها، تَحلّتْ بهذه الصفات، وهي من النساء المؤمنات الصالحات القانتات، ولا نزكي على الله أحداً.

أمّي (صبحية) في قلبي وعقلي، هدية من لله، شخصيتها وأخلاقها من الأولياء الصالحين. ما أعظمك يا أمي! كلُّ ما أكتبه، جزءٌ بسيط من سيرتك الذاتية، وهأنذا أنشرُ بعضاً منه... شوقاً لك ورضاً بك وفخراً.

❁❁❁❁❁

أطعمة شعبية رمضانية

(قَمَـرَ الدّين)

كلما تقدم بنا الزمن، نجدُ أننا في حنينٍ إلى الماضي، إلى عادات رَسَخَتْ في أذهاننا، نحنُّ إليها؛ لأنها اندثرتْ، وتلاشت، أو تَبَدَلَتْ في بعض ملامحها، بفعل السنين.

نستذكِرُ موائد الإفطار المتواضعة، التي كانت تُزيَّنُ بالشوربات، والمعجّنات، والسَلَطات، وأطباق أخرى فيها من نكهة الموسم الذي يهلّ فيه رمضان، وكله من صنع البيت.

لم تكن أحوالُ الناس في رمضان في الستينيات والسبعينيات، تسمحُ له بكلّ ما يعنّ على البال!! كالمنسف، أو المقلوبة، أو الدجاج المحشيّ.

كان مشروبُ (قَمَر الدّين) يحتلُّ المكانَ الأول على مائدة الإفطار؛ فهو مشروب مفيد لذيذ للجسم. بعض الناس جعله شيئاً رئيساً من مائدة السّحور، وبعضهم يضَعُهُ في السّحور وفي الإفطار، لاحتوائه على السوائل المفيدة للجسم.

ترجعُ صناعة (قمر الدين)، –كما قيل –إلى العصر الأموي، وتحديداً إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فيُعْتَقَدُ أنه أولُ من تناول مشروب (قمر الدين)، وجاء ذلك احتفالا باستطلاع هلال شهر رمضان. وقيل إن الذي صنعه رجل

اسمه قمر الدين، وقيل بل كان جميلاً يشبه القمر، إلى غير ذلك من أسباب التسمية. ويأخَذُ قمر الدين، من ثمار المشمش المجفف، ويقطع ويحفظ في اكياس بلاستيكية، وتوارثته الأسرة العربية لمذاقه الرائع وله فوائد عديدة؛ فهو يحتوي على الكالسيوم، والحديد، والبوتاسيوم، وهو مضاد للأكسدة، ومصدر مهمٌ للألياف الغذائية. ويضاف إليه ماء الورد أو الزهر والسكّر، وبعض النكهات، وهو مفيد مغذٍّ، ينشّط عملية الهضم، وينظّم عمل الأمعاء.

لكن حال (قمر الدين) اليوم، غائبٌ!! فقد تلاشى عن المائدة الرمضانية، وأصبحت المشروبات الغازية المضرّة تحتلّ المركز الأول على موائدنا، حتى أنّ بعض الناس وبخاصة فئة الشباب، يشربونها بديلاً عن الماء، ويؤذون أنفسهم من حيث لا يعلمون.

نبتة النعناع الجميلة

من النباتات الشعبية الطبية، التي يستعملها الناس وبخاصة في بلاد الشام، النعناع. أوراق النعناع شفافة ناعمة، ولها فوائد عند استعمالها، فهي تهدئ الأعصاب، وتعطي الشاي نكهة جميلة، ويجوز شربها مع الماء المغلي، أيضاً وتعطي نتائج مفيدة.

يا نبتة النعناع!!

نتذوق طعمك بالحلويات. والمشروبات، والمأكولات، وأين تحلّين تضيفين طعماً لذيذاً إلى الطعام أو الشراب، وأنت دائمة الخضرة، وفائدتك عظيمة.

وخلقك الله سبحانه تعالى؛ لتفيدي غيرك لا نفسك، ومن الناس من يراك كالطبيب، يأتيك عند الحاجة. حياتك مع الماء، دائمة، لا تصبرين على عطش، مع أنك قوية وصامدة، لكنك قابلة للانكسار؛ بسبب رقّتك الزائدة!!

يا نبتة النعناع، أراك متشبثةً بأرضك، من أجل غيرك، فأنت رمز من رموز حياتنا، وتراثنا، اصمدي وابقي دائماً خضراء، ولا تكوني ضعيفة!

امسحي عن أوراقك غبار السنين، لا تجعليها تصفر وتذبل، فطعمك نحن نحتاجه كل يوم، ليضفي إلى حياتنا القاسية قليلاً من الجمال!!

فانوس رمضان

يُعدُّ فانوس رمضان من طقوس الشهر الفضيل. وهو البهجة التي تدخل إلى قلوب الأطفال حين يرونه مُضاءً، فذاك يشجعهم على الصيام.

ولا يقف الأمر عند الأطفال، بل يستعمله أيضا الرجال في القرية والشيخ في الحارة، وقت الخروج لصلاة الفجر؛ لإنارة الطريق.

الفانوس عبارة عن تنكة صغيرة، تُصنع لها فتحتان، ويوضع بداخلها رماد الفحم، وزيت وفتيل، وتضاء وقت السحور.

ومع مرور الزمن تطورت الفتيلة، إلى مصباح واستخدم للإنارة.

ويقال إنّ فكرة الفانوس اخترعوها المصريون، وتحديداً بالعصر الفاطمي، ووصلت بلاد الشام. عندما كان أهل القاهرة يتوقعون وصول الخليفة الفاطمي المعزّ لله ليترقب الهلال على جبل المقطم، قيل إنّ القائد العسكري جوهر الصقلي أمر بإضاءة الطريق بالشموع لكي يستقبلوا الخليفة الفاطمي.

وكانت تضاء الشموع وتغطى بالجلود لكي تحافظ على نورها، وكانت شوارع القاهرة تعجّ بالأضواء من بواباتها القديمة، كباب النصر، وباب الفتوح إلى جبل المقطم. ومنها ازدهرت صناعة الفوانيس، وانتشرت بكل البلاد. ومع تقدم وسائل العيش والتكنولوجيا تطورت الفوانيس وصارت تعمل بالكهرباء أو

البطاريات الجافة، وأخذت تتلألأ بالأضواء والألوان في الشوارع والبيوت والمحلات التجارية، وأصبحت تُسوّق بكميات هائلة. هذا التطور في صناعاتها وتعدد أحجامها وأشكالها، لم يكن للفائدة فحسب؛ وإنما للزينة أيضاً؛ لأن الشوارع أصبحت تضاء بلمبات الكهرباء طوال الليل، ووضعت الأعمدة الكهربائية على جوانب الطرقات، ولم نعد بحاجه لحمل الفانوس، لنرى طريقنا في عتمة الليل، كما كان في الزمن القديم.

الفانوس القديم الشعبي، غاب اليوم وتلاشى استعماله، لكنه سيظلّ رمزاً تراثياً شعبياً، قد نجده في بيوت المهتمين بشؤون التراث اليوم فقط وللزينة.

المسحراتي

المسحراتي من مظاهر أيام زمان، ومن طقوس شهر رمضان الفضيل.

يمثل المسحراتي صورة لا يكتمل شهر رمضان دونها، فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالتقاليد الشعبية الرمضانية، فقبل الإمساك بنحو ساعة أو أكثر، يبدأ المسحراتي جولته الليلية في القرى والمدن والأحياء الشعبية موقظا أهاليها؛ ويطربَ بصوته الجهور الصادح بالأناشيد الرمضانية، والأذكار. يمشي حاملاً الطبل، يقرعه بالضرب عليه، حتى يصحو من هو نائم، كي يتناول السَّحور.

مهنة المسحراتي ربما ترجع في بدايتها إلى العهد الإسلامي، إذ قيل إنّ الصحابي بلال بن رباح رضي الله عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذاك الذي تميّز بصوته العذب، تولى مهمّة إيقاظ الناس من نومهم لتناول السحور، ومعه الصحابي ابن أمّ مكتوم.

وفي عصر الدولة العباسية، قيل إنّ عتبة بن إسحاق أول الولاة، على مصر، أول من كانوا يُسحّرون الناس، فكان يخرج بنفسه سيرا على قدميه لإيقاظ الناس مرددا:

"يا عباد الله تسحروا، فإن في السحور بركة".

وفي العصر المملوكي أحياها السلطان الظاهر بيبرس، بعد أن كادت تختفي، لكن ربما بسبب كثرة السكان، وزيادة أعداد المسلمين، بدأت تخفّ بعد ذلك. حتى كادت تتلاشى في كثير من مدن العالم الإسلامي وقراه.

وفي زمن الخمسينيات والستينيات ومن أجل إحياء هذا المشهد التراثي الإسلامي، ومن أجل جذب الانتباه، بدأت هذه المهنة تطرق أبواب الفنانين والشعراء، مثل بيرم التونسي، وفؤاد حداد، والسيد مكاوي، فنقلوها ولحنوها عبر شاشات التلفزيون والإذاعات، واستخدموها في أغانٍ؛ لأيقاظ الناس وقت السحور، من خلال الاستماع إلى نغمة المسحراتي والطبلة .واشتملت الأغنية على عبارات مثل:

(اصحى يا نايم وحّد الدايم)

(وقولْ نويت بكرة إن حييت، الشهر صايم والفجر قايم)

(اصحى يا نايم وحد الدايم)

ونتيجة التقدم العلمي ووسائل الاتصال اليوم، استعيض عن المسحراتي اليوم بعد الألفية الثانية-في أغلب المدن والقرى_ بالتسبيح وقراءة القرآن والأذكار في ساعة السحور، عبر مكبّرات الصوت في المساجد.

عيد الفطر

بين الماضي والحاضر

العيد من الفعل عادَ يعود عوْداً، والياء فيه أصلها واوٌ. وهو كلُّ يومٍ مَجْمَع للناس، وقال الخليل بن أحمد هو من عاد يعود، كأنهم عادوا إليه، ويمكن أن يقال لأنه يعودُ كلّ عام، وقال غيرُهُ: إنه سُمّيَ عيداً؛ لأنهم اعتادوه.

والعيدُ هو اليوم التالي لآخر يوم من رمضان والأول من شهر شوال، ويسمى عيد الفطر السعيد، أما عيد الأضحى فيقع في يوم العاشر من ذي الحجة.

والعيد بعامة، تذكير بقيم الإسلام الحنيف، ومبادئه، وهو يأتي بعد طاعة، فعيد الفطر يأتي بعد صوم، والأضحى في فريضة الحج. والصوم والحج من أركان الإسلام الخمسة.

ومناسبة قدوم العيد فرضت عادات أصبحت مع الزمن شعبية تراثية، يتوارثها الناس، كالتحضيرات والسابقة لقدومه، والممارسات التقليدية المعتادة في يومه. فربّة البيت تحرص على شراء ما يلزم استعداداً للعيد، وبخاصة تنظيف البيت وترتيبه وتزيينه، وكذلك تحضير (الكعك) وسائر الحلويات.

ويُشكل (الكعك) ذو الشكل الدائري، نمطاً شائعاً في البيوت، ولعله شكله الدائري يرمز إلى الاستمرارية ودوام عودة العيد، فالأيام تدور كدائرة الكعك، وفيه تمنٍ بالهناء والسعادة أيضاً، أي أن يعود العيد والناس بخير وسعادة.

ومن العادات في العيد أن يبدأ الأطفال استقباله بالأغاني، فرحين بالإفطار وانتهاء شهر الصيام، ومما كانوا يغنونه:

(بكرة العيد ومنعيد

نذبح بقرة السيد

والسيد مالو بقرة،

نذبح بنته هالشقرا

والشقرا ما فيها دم

نذبح بنته وبنت العم)

ومن العادات أيضاً أن تنطلق مسيرة الكشافة، وكانت تقتصر على فرقة خاصة يرتدون ملابس مميزة، ويسيرون بنظام ويقرعون الطبول وينفخون بالمزمار، والناس جميعاً كباراً صغاراً ورجالا ونساءً ينظرون إليهم مبتهجين بالعيد. لم تكن المرأة تشارك في هذه العادات، بل كان دورها مقصوراً على البيت وإعداد الطعام والحلوى. لكن الأمور كانت تتم برضا وسعادة وبساطة ومحبة. وبعد صلاة

العيد، يعود الناس لبيوتهم ويتناولون طعام الفطور، ثم ينطلقون لزيارات الأرحام والأصدقاء، مباركين بالعيد.

وهكذا، كان العيد مناسبة لتصفية القلوب وتنقيتها من الخصامات والأحقاد، ولقاءات محبة وألفة، تتجدد فيها روابط الأُسَرِ والمجتمع بعامة.

ومع مرور الزمن، وتطور أساليب العيش، وظهور الآلات، أصبحت حياة الناس مادية، لا تولي اهتماماً كبيراً بالعادات والتقاليد، فصار العيد مجموعة ممارسات شكلية، خالية من الروح والمحبة. ربما تغير الزمن، ومتطلبات الحياة، وثقل تكاليفها ومسؤوليتها، أسهم في هذا التبدل. لكنه سلب كثيراً من بهجة العيد التي كان الناس يشعرون بها قديماً.

لقد انعكست تغييرات الزمن على ممارسات الناس في العيد؛ فتحول لمناسبة اجتماعية خارج البيوت، فتجد أغلب الناس بعد الإفطار خارج البيوت ذاهبين للتنزه أو التسوق.

حتى الحلويات التي كانت قديماً شائعة ومعروفة في بيوتنا كالعوّامة والكلاّج والقطايف والكنافة، صرنا نرى أنواعاً أخرى كحلويات من أغلب دول العالم منها التركية والسورية والمصرية والفرنسية. أمّا (الكعك) فهو ما تبقى من عادات الناس في استقبال العيد،

وله عبق مميز مما أضيف إليه من القرنفل، وجوز الطيب. الكعك ما يزال خيط وصل يربط الماضي بالحاضر.

عبق الحناء

في ليلة سهرة العروس

حديثنا اليوم عن عبق الحنّاء وحنّاء العروس، وأول حديثي أقول لكم جميعا:

كل عام والجميع بألف خير، فقد دعّنا شهر الصيام، رمضان المبارك داعيين المولى عزّ وجل أنْ يُعيده علينا باليُمْن والبركة وراحة البال.واستقبلنا العيد بفرح وبهجة وسرور.

وودّعنا العيد سائلين المولى أن يعيده علينا بالفرح والسرور. وها نحن رجعنا إلى حياتنا الطبيعية، وبدأنا نقيم الأعراس، (الله يهدي البال).

حديثي اليوم، عن الحناء وعبق الحناء وحناء العروس بين الماضي والحاضر.

طقوس حفلة الحناء التي تسبق ليلة الزفاف، عادة تتوارثها العديد من الدول العربية، كما هو حال بلادنا، باعتبار هذه العادة مظهراً من المظاهر التراثية. لكن كيف تتم الأمور في ليلة حناء العروس؟

إنّ حفلة الحناء لها مكانة مهمة وكبيرة في قلوبنا، وهي تقام في منزل أهل العروس. وفي هذه الليلة، ترتدي العروس العباية لاستقبال أهل العريس. النساء

من أهل العريس يأتين مجموعة، إلى بيت أهل العروس، وتكون أم العريس تحمل (صينية)* الحناء على رأسها، والصينية تكون مزيّنة بالورود والشمع.

وغالبا ما تأتي النساء من أهل العريس مشياً على الأقدام، وعلى أنغام الطبلة و(السحجة)* العالية، والأغاني الجميلة. أما إذا كانت (الفاردة)* من قرية مجاورة، فيركبن في الحافلة، وكانت أجمل ذكريات ركوب الحافلة ليلا. وإذا كنّ من بلد بعيد، يأتين مساء ويبتن ليلتهنّ قبل الحنّاء، وتكون العزومة عند دار خال العروس.

وليلة الحناء ليلة مميزة، لكلّ من العريس والعروس بخاصة. والمدعوون من الأقارب والجيران والأصدقاء بعامة، وتعتبر أجمل ليلة في الفرح.

في ليلة الحناء، تكون سهرة النساء في بيت أهل العروس، وتكون الأغاني للعروس بهذه الليلة حزينة، تعبر عن الوداع، ومفارقة العروس بيت الأهل إلى بيت جديد. لذا عادة ما تبكي العروس في هذه الليلة، وتشاركها القريبات في هذا البكاء.

ومن أغاني الوداع في هذه الليلة-:

---

*الصينية: وعاء متوسط الحجم، يشبه السدر الذي يوضع عليه الطعام.

* السحجة: التصفيق باليدين على نغمة ما أو ضرب اليد باليد الأخرى بتتابع ونظام، ما يؤدي لصوت منتظم ينتج عن الضرب.

* الفاردة: مجموعة من السيارات تحمل النساء المحتفلات بالفرح، وهن يغنين، وفي الفاردة لا تسير السيارات بسرعة بل بتمهل.

عل مـــودعي عل مـــودعي

تعالي يا عروس تـــا نتودعي

لبست أسواره وشلحت اسواره

ومن آخر الحارة طُلي وارجعي

قالت العروس طرزولي مخداتي

وانا رايحة وما ودّعت خيّـــاتي

انا رايحة لا ودعت أمي ولا بيي

يمّا الحنونة شدّيلـي وعدّيـــلي

ليالي الهنـــــــا ريتها طويلة

خيتا الحنونة رتبي لـــــي تختي

ليالي الهنـــــا ريتها من بختي

الله يهدي البال يا رب، لكن اليوم تغير الحال؟

اليوم، أصبحت ليلة الحناء في قاعة أفراح يستأجرها العريس أو والد العروس، ويُحجز عليها قبل العرس بفترة، وصار الأغلب من الناس لا يقبل بصينية الحناء! فهي عادة قديمة بنظرهم، لكنّها في بعض القرى ما تزال قائمة، حتى العروس صار لا يهمّها إنْ حضرت صينية الحنّاء أو لم تحضر، همّها الوحيد صار فستانها

الجديد ونوعه وسعره، وتسريحة الشَّعر، وهكذا أصبحت الصينية طي الزمان والذكريات!!!

العروس وطلعتها

في الماضي والحاضر

اليوم حديثي عن العروس وطلعتها من بيت أهلها أيام زمان، وكيف صارت اليوم؟

كانت العروس في أيام زمان قبل الثورة المعرفية والتكنولوجية، أيقونة للحياء والجمال، كانت العروس رمز الأصالة والأنوثة !!

كانت، كأنها طيف جميل خجول، هيأت نفسها لمغادرة بيت أهلها إلى عشّ الزوجية، كانت، شمعة مضيئة تشعُّ بنورها الأخّاذ، حاملةً معها كلّ مشاعر الحب والاحترام إلى عشّها الجديد.

كان حياؤها من زوجها الذي نَذَرتْ له نفسَها وروحَها وعمرَها؛ لتكون بجانبه ولكي تشاركُهُ حياته في السرّاء والضرّاء! حتى من دون أن تتعرف عليه مسبقاً!

كانت حين تنتقل إلى بيت الزوجية، تحملُ معها ذكرياتها من بيت أهلها، وما تعلمته من أخلاق وعادات، وحملته من مسؤوليات اتجاه الزوج والعائلة!! وكلّ هذا كان راسخاً في ذهنها من تربية والديها، لتكمله في أحضان المستقبل الغامض.

كانت حين تدخلُ البيت الجديد الذي يتألف عادةً من غرفة في بيت عائلة الزوج حتى تنسجم مع أسرتها الجديدة وتشاركهم الأفراح والأتراح.

كانت قبل أيام العرس بقليل، تشعرُ وحالمة كأنها في بيت زوجها الجديد، تبحثُ عن رحيق مستقبلها الكامن بالغموض، وتظلّ تُفكّرُ تفكيراً إيجابياً سعيداً، وتخطط لمستقبلها، كان قلبها مُفعماً بالمحبة.

كان يوم طلعتها من بيت أهلها ثقيلاً عليها وعلى أهلها، لذا كانت كلمات الأغاني حزينة تحمل معاني المحبة والوداع.

والصحيح أنّ كلمة وداع، ليست هيّنة أو سهلة.فهي لها وقع كبير في نفوس من عاشوها وذاقوها!

في هذا اليوم، تحضر العروس من الصالون بطلّتها البهية، وبفستانها الأبيض الملوكي، وتجلس على دكّة مرتفعة، لتشاهدها النساء المجتمعات. ثم تبدأ النساء بالغناء على إيقاع حزين، يذكرها بخروجها من بيت أهلها.

وبعد ذلك توزع الحلوى، والعصائر على الحضور. ليس هناك نوع محدد، بل يشتري العريس ما يستطيع بحيث يكون مناسباً ولائقاً أمام الأقرباء والناس المدعوين.

ثم قبل الطلعة بلحظات، يأتي الأقارب والأهل لوداعها، ويقدمون المال كهدية محبة وهو ما يسمى (نقوط) أما أهلها فغالباً ما يقدّمون شيئاً من الذهب، متمنين لها حياة سعيدة، ومباركين لها حياتها الجديدة، مع شريكها.

وفي هذا المشهد تكون هناك امرأة مشهورة بالغناء وبصوتها العالي، وتبدأ بالزغاريد ثم الغناء، ومما يقال في هذه اللحظات:

(خلف الله عليك يا أبو فلان عقبال أولادك وهذا نقوط العروس) وهي تُلوّحُ بيدها بالنقوط (النقود)، ويوضع في كيس، أما اليوم فيوضع في مغلفات وظروف مكاتيب.

وينتهي المشهد بدخول أهل العريس من الرجال طالبين عروسهم من أهلها، وفرحين بعروسهم ومتمنين لهما السعادة وبالرفاء والبنين.

كم هو جميلٌ أن تبكي العروس من شدة الحياء، الذي هو شعبة من شعب الإيمان! وصفةٌ مهمةٌ تؤكد أنوثة المرأة. وقد وصف القرآن الكريم هذه الصفة للعروس حين أطلقها على الحور العين في الجنة، فقال عزّ وجل في سورة الصافات:" **وعندهم قاصرات الطرف عين** ". أي يقصُرنَ نظرهن على أزواجهن لمحبّتهن وإخلاصهنّ.

واليوم، وبكل أسف، كثر الطلاق والفراق، فما عاد الحياءُ موجوداً كما كان، أصبحت المرأة قدوتها ما تجده على الحاسوب أو الجوال أو البيلفون، تمضي وقتها وهي تقلب الصفحات، بلا فائدة. علاقتها بزوجها معرّضة للمشاكل، وعلاقتها بأهل زوجها تكاد تكون معدومة! لذا انقطعت وشائج المحبة بين الناس، وقلّ تواصلهم ببعض، وصار الأولاد في انفصال تام عن الأسرة، فكثر الفساد، ولم يعد هناك رقيب ولا حسيب!!

الأب فقد دوره المسؤول، والأمّ لم يعد لديها وقت لتربي وتراقب وتتابع!! حالٌ صعبة نسأل الله أن يهدينا سواء السبيل.

❁❁❁❁❁

أمّي

وحبات السليقة الذهبية

سنابل القمح الذهبية تتماوج مع هبوب النسيم وشمس آب.

حديثي اليوم عن عادة شعبية أضحت تراثية، كانت معروفة قديماً، بعد موسم الحصاد، هي (سليقة القمح)، وهو من ذكرياتي التي عشتها مع أميّ. لذا سأتحدث ما كنت أشاهده منها.

أمي كانت تقف شامخة، وبيديها تحملُ الغربال لتنقي حبّات القمح، مع نسمات الهواء!!

مع تقدمها بالعمر، كانت صاحبة حكمة، جراء ما مرت به من تجارب، وشاهدته من حوادث! كانت تقول وتردد دائماً:(إنّ البيت اللي ما فيه مونة، ما فيه بركه).

والبركة المقصودة هنا هي توفر الطحين والخميرة والبرغل.

في شهر آب من كلّ عام، كانت تستعدّ لتحضير المونة. تبدأ بغربلة القمح المحصود حديثاً، وتنقيه من الشوائب، بالغربال أولاً ثم باليد ثانياً؛ لأن الغربال

يخفف من أعواد وذرّات القشّ الصغيرة، لكنه قد يسمح لحبات التراب أو فتات الحجارة من المرور. لذا كانت تنقيه وحدها أو مع الجارات أحياناً!!

وفي يوم السلق، أو السليقة كما هو شائع، كانت تغسله جيداً عدة مرات.

وتحضّر الحطب لإشعال النار وتأتي بالقِدْر أو طنجرة كبيرة، وتضع فيها القمح المغسول، ثم تضعها على نار الموقد.

وكنا نحن نساعدها بتحضير الماء، وتصوله أي تصفيه بالمصفاة (القصرية*) وتقوم بغسله عدة مرات، وتجلس بجانب الموقد لتراقب النار.

ونحن(أخوتي) نصطف حولها لنسليها ونشرب الشاي معها، وكان حديثها شائق، تحكي لنا حكايات عن صباها وما عاشته في حياتها.

وبين الحين والحين، تقلّبُ السليقة (القمح(لينضج بدرجة واحدة.

بعد أنّ ينضج القمح، يسمى سليقة (أي مسلوق)، كانت تصبر عليه وتنتظر حتى يبرد قليلاً ثم تبدأ بنقله إلى سطح البيت أو ساحة البيت وتكون قد فرشت تحته قطعة من البلاستيك، كي يجف من الهواء وأشعة الشمس.

* القصرية: وعاء من ألمنيوم أو ستيل في أسفله فتحات صغيرة تسمح للماء بالمرور، يوضع بالقصرية القمح المغسول ليصفى.

وكنا نتناول منها ونغرف بأيدينا ونأكل مع قليل من الملح ... كانت كلّ يوم تأتي على ما وضعته من السليقة وتقلبه ثلاث مرات في اليوم؛ مع شروق شمس الصباح ثم مع الظهر ثم مع العصر، كان هذا يحصل لمدة أربعة أيام، حتى تتأكد من أنه جفّ تماماً. كانت حبات القمح أو السليقة بيديها وهي تتقلب، كأنها صفائح من الذهب.

هذه هي المونة، بالنسبة لها، هي عندها أغلى من الذهب؛ لأنها من إنجازها وتعبها.

بعد أن تجف السليقة، تجمعها في كيس نظيف، ثم تذهب بها إلى الطاحونة أو الجاروشة بالمسمى الشعبي.

وبعد عمليه الجرش أو الدرس، ويسمى عندها (برغلا) تقوم بتنظيفه بالغربال لإزالة القشور عنه، وتفصل بين البرغل الناعم والبرغل الخشن، وقسم يكون للطحين لصنع الخبز وهكذا.

فعلاً إنها عملية صعبة وشاقة للغاية.

والحمد لله، كان أغلب الناس يفعلون فعل أمي، يسلقون القمح ثم يجففونه ثم يطحنونه، إما للبرغل أو للطحين. أما البرغل فيدخل في طعام المجدرة، أو الكُبّة، ويدخل فيما يسمى بالتبولة.

كانت سنين أيام زمان مليئة بالخير والبركة، ومع مرور الزمن والتطور التكنولوجي، أصبحنا نشتري البرغل بأكياس نايلون محكمة جاهزة للطبخ.

وإذا سألت اليوم الجيل الحالي: ما معنى سليقة؟ أو جاروشة؟ بكل أسف ستجد القليل جداً من يستطيع أن يجيبك إجابة صحيحة.

إن فوائد القمح لا تقدر بثمن، وقيمته الغذائية عالية، وغنية بالفيتامينات والتأثير الإيجابي على الجهاز الهضمي.

سلمت أناملك يا أمي ورحمك الله بواسع رحمته، ورحم ذاك الزمن الجميل!!

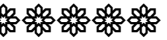

أكلة المجدرة

حديثي اليوم، خاطرة كلمات قلتها في وصف أكلة المجدّرة...

نجمة مُحلّقة في السماء العالية.

نظرتْ إلى الأرض، رأت الشمس ساطعة.

بعد شتاء غزير، جال في خاطرها أن تتمشى على الأرض.

بين أحضان الطبيعة، وهي تمشي، بدأت تشم روائح شهية متطايرة ...

صاحت: يا الله هذه (ريحة مجدّرة، ممم بتشهي).

لو أني أدخل هذه الدار وآكل منها !

لكنها تراجعت...!

ووقفت إلى جانب الدار؛ لتشمّ الرائحة اللذيذة من جديد. وإذا بابن صاحب الدار عائد من المدرسة...يحمل بيده معه (شاورما).

رأته أمه حين دخل البيت، وقالت له: (ولْ يّما مش صابر ترجع الدار، وتوكل من إيدين أمك؟ الله يرضى عليك، قد تعبتْ حتى حضّرت لك مجدّرة وسلَطَة!!)

التفت الولد نحوها بغضب وقال:

(كل يوم والثاني مجدّرة؟ زهقتموني!)

تحسّرتْ الأم من كلامه! حتى لم يقل لها كلمة شكر أو حتى سلام.

تنهّدتْ النجمة، وتابعت طريقها...!

شمّتْ ريحة البصل المقلي وهو يملأ المكان فتوقفت قليلاً تشمّ أكثر وأكثر ثم تابعت طريقها محبطة! فجأة شمّتْ رائحة شواء! قالت:(يا.....ما أحلى الريحة!!)

اللهم صلّ على سيدنا محمد، (محلاها الروايح إللي فايحة ساعة الظهيرة، كل ريحة أحلى من الثانية).

جلست النجمةُ جانب صخرة، محتارة ماذا تتغذى اليوم؟

وإذا بصاحبة المجدّرة، قادمة نحوها، حتى إذا وصلت، دلقت الطعام للطيور!!

تعجَبَتْ النَّجمة! سألتها:

- (ليش هيك دلقتيها)؟

قالت:

- (ابني اشترى شاورما). فردّت النجمة قائلة:

- (يا خسارة! في حد بشم هيك ريحة، وبشتري شاورما !

بعد فترة وجيزة وإذا بجارة أخرى ومعها صحن طعام، فقامت بسكبه على الأرض للطيور! فسألتها النجمة:

- لماذا فعلت ذلك؟؟ لكنها لم تُجب!

بعد قليل، وإذا بصاحبة المشاوي، معها صحنٌ، ثم ألقته للحيوانات! فتعجبتْ النجمة وقالت:

- حتى أنت أيضاً؟ تلقين باللحم المشويّ للحيوان؟ (يا خسارة) !

فأجابت صاحبة المشاوي باشمئزاز قائلة:

- أولادي وبناتي نباتيون، ماذا أفعل؟

فتنهدت النجمة طويلاً وقالت:

- يا خسارة وألف خسارة!!!

❁❁❁❁❁

أحاديث الشتاء

المطر والعوّامة

حديثي اليوم عن الشتاء الذي كنا نعيشه في الماضي بمناسبة فصل الشتاء هذا العام:

اليوم ماطرٌ ذكرني بطفولتي حين كنا نلهو ونغني:

(يا رب تشتي –ونروح عند ستي

وتعملنا فطيرة–على قد الحصيرة

ونوكلها وننام–ونْصبّح جوعان

ستي صبحية –واردة على الميه

لاقوها شبين–من شباب حسين

واحد اسمه زلمة –واحد اسمه علمي

حَطّوا سوارة عاشوراء–وصاروا يرقصوا بالحارة)

هذه الأغاني الشعبية كنا نرددها، ونسمع الجدات وكبار السن يحكونها في المجالس، مجالس السهر، في الشتاء، أمام كانون النار...!

كانت أمي في ليالي الشتاء، الحضن الدافئ الذي يعيد لنا جمال الذكريات القديمة التي عايشتها، وكانت حريصة على تبديد أجواء الملل في نفوسنا، نتيجة الأمطار الغزيرة التي كانت تقلل من حركتنا! فكانت تقترح أن تقوم بعمل حلوى العوّامة، أو الزلابية. كانت تعجن عجينة العوامة المكونة: من ملعقة صغيرة خميرة ورشّة ملح وكوب من الماء، وملعقة صغيرة من السكر وكوبين من الطحين وملعقة صغيره من النشا وملعقتين صغيرتين من الزيت وقطر وزيت للقلي.

وهذه الأكلة تعد من ألذّ الحلويات الشرقية الأصيلة، وكنّا نفضّلها على جميع الحلويات، لأن مكوناتها متوفرة في كل منزل.

وبعد أن تخمر عجينة العوامة، تفرش أمي الحصيرة وتتربع بقعدتها، وتشعل البابور وتبدأ تقلي العوامة. كنّا نتناول بعض القطع حين تضعها في الوعاء. لم نكن نصبر على الانتظار.

هذا ذكّرني بمثل شعبي على العوامة، يقول: (أمّ علي بتقلع وأبو علي ببلع).

والمعنى أن أمّ علي تلتقط حبّات العوامة التي نضجت، وأبو علي يأكل ويبلع. ونحن أيضاً كنا نبلع ونلعب ونستمتع بالعوامة وسيلان القطر منها.

وأذكر أننا كنّا نُفرّق (نوزّع ونرسل) لكل الجيران، لا يهمنا الشتاء ولا الشمسية، نغطي رؤوسنا بالكبوت (جاكيت طويل ثقيل) وطاقية الفرو، ونلعب ونلهو تحت المطر حين يكون خفيفاً.

وتعم البهجة والفرح، كنا نستمتع بكلّ لحظة، وعلى صوت البابور(آلة صغيرة تدور على الكاز، وفي أعلاها يخرج اللهب) ونسرد القصص والحكايات.

كان الجسم يدفأ من وهج البابور وما يبعثه من حرارة، وطعم وريحة العوامة أو الزلابية والقطر، الذي كنا نشاهد أمهاتنا يعددنه في المساء.

يا ألله ما أجملها من ذكريات

قصة (4)

(سفط السلفانا)

حديثي اليوم عن (سفط السلفانا)!

يبقى الحنين الى الماضي والزمن الجميل وأيام البساطة التي عشناها قائماً كلما تقدّم بنا العمر! تلك الأيام التي كُنّا فيها أبرياء، وأكثر نقاءً، واكتفينا بالقليل من الأشياء، سواء أكانت ألعاباً أم حلويات أم غير ذلك!!

كانت تسْعِدُنا حبّةُ الشوكولاتة من السلفانا!!

مَن منكم مِنْ جيل الخمسينيات والستينيات والسبعينيات ولا يذكر أو لا يعرف (سفط السلفانا)؟ ذاك الذي احتل المقام الأول من بين الحلويات؟ جيلنا نحنُ، عاصَرَ السلفانا وعَشِقَها، تلك الحلوى التي تصدّرتْ المكان الأول في المناسبات والاحتفالات والزيارات.

أذكُرُ وأنا أحنُّ إلى الماضي كالكثير من أبناء جيلي، أيام المدرسة! أذكر أوقات الاستراحة (الفُرصة) كنّا نذهبُ إلى بيت صديقتي، ونسترقُ النظر حين تنوي الجدة، الوضوء، وتبتعد عن (النملية)* وقتها كنّا نسرعُ الخطا إلى النملية التي

* (النملية)، خزانة من خشب، عادة يكون أسفلها دفتان وأعلاها دفات من زجاج أبيض، ووسطها جاروران.

فيها كلّ أنواع (المونة)، و(سفط الشكولاتة) في الأعلى، كالملك، كنّا نفتح النملية بسرعة ونسرقُ حبات السلفانا، ثم نولّي هاربين.

وبعد أن نبتعد، نبدأ بتذوق الشوكولاتة، ونستمتع، حتى نصل حبة اللوز التي داخلها، ونشعر بهرمون الفرح والسعادة يرتفع! ويأخذنا الخيال البعيد والبسيط، كيف وضعوا حبة اللوز داخل الشوكولاتة؟

في عصرنا هذا بعد الألفية الثانية، اختفت السلفانا، من الأسواق، لكنها بمكانتها وطعمها الشهيّ باقية! اندثرت، كما اندثرت أشياء كثيرة كالجاروشة، والغربال والمهباش ...!!

وكثيرٌ منّا لا يعرف من صنعَ السلفانا، ما نعرفه أنها صُنِعت في رام الله، لكننا لا يعرف قصتها ولماذا اختفت؟

لقد قرأت في مرجع ذات يوم، عن وجود عائلة أرمنية في مدينه رام الله، كانت تصنع الحلويات والسكاكر في حوش الدار ويبيعونها للمحلات والبسطات.

وكان للعائلة ابنٌ، اسمه (يوسف)، وقد قرّر الأب أن يرسله إلى إيطاليا؛ ليدرس صُنْعَ الحلويات الغربية سنه 1948.

في إيطاليا، تعلّمَ الابنُ صناعة الحلويات. وذات يوم من الأيام، قرر (يوسف) الذهاب إلى السينما لمشاهدة فيلم (الرز المر)، وكان بطل الفيلم امرأة اسمها

(سلفانا)، وكانت رمزاً للجمال، وقد عَمِلَتْ أيضا عارضة أزياء. أحبها يوسف وعشقها، وعشق اسمها.

وعندما رجع إلى رام الله، قرّرَ أن يُعلنَ اسم نوع جديد من الشوكولاتة وهو(سلفانا) إعجاباً منه باسم الممثلة. فعمل على تطوير المصنع سنه 1953.

بعد وفاة الاب اختلفَ الأخوة على تقسيم الميراث، وكان المصنع أكبر مصنع في القدس، ورغم تعدد الحلويات التي ينتجها غير أنه عُرف باسم (سلفانا).

اشتهرت الشوكولاتة بهذا الاسم ووصلت الشهرة إلى الأردن، ووصلت أسواقنا سنه 1948، داخل الخط الأخضر حتى عام 1987، إلى وقت اندلاع الانتفاضة الأولى (الحجارة)، فنتيجة لكثرة الإضرابات ومنع التجوال، أُغلِق المصنع، وتقلّصَ الطلب على السلفانا، ودخلت منتوجات أُخرى مثل شكولاه (عيلت) وحلويات تركية وأجنبية متعددة، واختفت علبة السلفانا من الأسواق. ربما كان الحنين ليس لسلفانا فقط؛ بل لأيام مضت، وزمنٍ تولى، كان كلُّ شيء فيه جميلاً..!!

❁❁❁❁❁

قصة

(يوم الطالب)

حديثي اليوم عن قصة حدثت مع طالبة، في الصف الثالث الإبتدائي.

كانت طالبة هادئة خجولة، تحب أن تشارك في فعاليات المدرسة.

لكن لسوء حظها دائما، لم يتم اختيارها باحتفال (يوم الطالب) لتشارك فيه.

انشغل كلّ من في المدرسة في التحضير، ودعوة الأهالي.

بعدما اكتملت التحضيرات وقبل بدء الاحتفال بقليل، ذهبت الطالبة إلى المدرسة كعادتها، وقد ربطت جدائلها، وارتدت ثياباً نظيفة جميلة.

لم تدرِ الطالبة أن الحظَّ، سيحالفها وتُنشد نشيد المدرسة في هذه الفعالية.

بدأ الاحتفال بوجود الأهالي والطلاب والمعلمين.

جلست الطالبة على كرسيها مع مجموعة طلاب صفها. تستمتعُ بأداء الطلاب، في الكلمات والعروض المسرحية.

فجأةً، تقدم مربي صفّها، وسألها قائلاً:

- على ما أظن أنتِ تحفظين أنشودة (أنا تلميذ نظيف)؟ جهّزي نفسَك، فقد وقع عليك الاختيار بعد غياب الطالب المكلّف بالإلقاء.

فرحت الطالبة، وشعرت بسعادة غامرة، وأجابته:

- نعم أنا أحفظ النشيد، سأنشده بإذن الله!

ثم طلب إليها طلبَ إليها أن تستعدَ لذلك خلال ربع ساعة، لتصعد درج المسرح!

على الرغم من مشاعر السعادة التي انتابتها، غير أنها قلقة جداً؛ لأنّ أمها غير موجودة، فهي لا تعلم بالأمر!!

فجأة خطر لها أن تسرع إلى البيت وتعرض الأمر على أمّها، لعلها تأتي وتحضر وتستمع لابنتها، فوجودها مهم جداً ومساعد على نجاحها في الإلقاء، فهو يمدّها بطاقة إيجابية، وشعور بالثقة والفرح.

أسرعت الطالبة إلى بيتها، لكن ما إن وصلتْ حتى رأت والدتها تحت الشجرة، بجانب موقد النار، وحلَّة الغسيل مليئة بالملابس التي تحتاج غسلاً!! وهي تغسل في (لَجَن) أكوام الغسيل على مراحل! حانية ظهرها في عمل شاق! والتعب بادٍ على ملامحها! دون أن تشكو أو تتذمر!!

طوال الطريق، والطالبة تفكر: هل ستقبل أمّها دعوة ابنتها في الحضور للمدرسة؟ وتتركُ أكوام الغسيل، والماء الحار على موقد النار، لتشاهد ابنتها وهي تلقي النشيد على المسرح؟ وحين وصلت، وشاهدت انشغال أمّها، بالغسيل، جثم الصمت على لسانها، فلم تدرِ ما تقول؟ لكنّ أمّها شعرت بحيْرتها، فسألتها:

- ماذا بكِ؟ لماذا رجعتِ من المدرسة؟ هل انتهت الحفلة؟

صمتت الطالبة !!! وكأن هناك شيئاً عقد لسانها عن الكلام!!

ماذا تقول لوالدتها؟

ولامتْ نفسها لتسرّعِها! وبكلّ حياءٍ وخجل وندم قالت:

- جئتُ أطلبُ أن تأتي لتسمعيني وأنا أنشد!!

وحاولت أن تعتذر عن دعوتها، وأنها لم تكن تعلم أنها منهمكة بغسيل الأسرة! فقالت:

- سامحيني يا أمي!! لم أدر أنكِ منهمكة هكذا...!!

كانت الأمّ تقوم بخدمة أسرة مكونة من عشرة أنفار، من أولاد وبنات وأحفاد؟ أين نساء اليوم من كلّ هذا؟

فوجئت الطالبة، حين رأت أمها قد نهضت من مكانها، ورتبت ثيابها، وابتسمت لها، وقالت:

- هيا هيا يا ابنتي، نذهب إلى المدرسة. سأذهب معك، لا أريدك أن تتأخري!!

وتركت الغسيل وأطفأت الموقد، وأمسكت يد ابنتها وذهبتا إلى المدرسة!!

وهي بين حين وآخر تحثّ ابنتها على السرعة خوف أن تتأخر عن الإلقاء!

لكنهما وصلتا قبل الوقت المحدد بدقيقة تقريباً، وما إن وصلت حتى علت الطالبة درجات المسرح، وهي تلهث من المشي السريع. ثم سمعت عريف الحفل يذكر اسمها ويقدّمها لتلقي النشيد.

بدأت الطالبة النشيد واثقة من نفسها، وهي تنظر لأمها التي وقفت جانب المسرح، قريبة منها. تشجعها وتضحك لها. والطالبة تغني منشدةً:

(أنا تلميذ نظيف، بفيق من الصبح بكير، بغسل وجهي وإيديّ، وبلعب رياضة شوية).

والأمّ، تصفّقُ لها بحرارة!!

لم تكن الطالبة تنظرُ للجمهور! كان نظرها مركزاً على أمّها، كأن والدتها هي الجمهور كله! وهي المسرح وهي المدرسة وهي الحياة كلّها!!

القمباز والكوفية

من الأزياء الشعبية المشهورة، للرجال؛ (القمباز) وهو ثوب يرتديه الرجال عادة في بلاد الشام، ويطلق عليه في بعض المناطق اسم (الكِبِر) أو (الدمّاية)، وهو عبارة عن قطعة من القماش تشبه الجلابية في مصر إلى حد كبير، وهو مفتوح من الأمام وضيق من أعلاه يتسع قليلاً من أسفل، يُرَدّ أحد جانبيه على الآخر ويكون جانباه مفتوحين قليلاً، يمتد من الكتفين حتى القدمين، وينتهي بـ''ردة'' أو ''شريط'' من الأعلى بعرض 3سم، بحيث تلف الرقبة من الأمام من اليمين لجهة اليسار وينتهي الشريط بعروة وزر[1].

[1]- ينظر: جمال سالم، موقع همسة سما لتنمية المرأة والطفل 3/5/ 2022، رابط https://hamsaat.co/archives/148916

أما الحطة أو الكوفية، فهي للرأس غطاء، ومكمّلة لزيّ القمباز، وهناك أناس يطلقون على الحّطّة أو (الشورة) وهي ناعمة تصنع من حرير أو قطن وهي غطاء للرأس، تلبسها النساء في الأرياف أيضاً، لكنها تختلف عن حطة الرجال أن ليس لها شراشيب من الحواف، والرجال يلبسونها مع (العِقال). أما الكوفية ففيها خطوط هندسية مربعة سوداء وعلى الحواف خطوط طولية مستطيلة وحولها شراشيب، أو عُقد من خيطان ناعمة متباعدة المسافة تحيط بها.

وقد اعتاد الفلاح أن يضع الكوفية لتجفيف عرقه أثناء حراثة الأرض ولوقايته من حر الصيف وبرد الشتاء وصارت الكوفية مع العقال رمزاً للنضال الوطني الفلسطيني، وقد ارتداها الفدائيون في الستينيات لإخفاء ملامحهم.

وأقول في القمباز:

القمباز يا إرثنا المندثر

يا لابس القمباز، لايق عليك الشخصية العربية....

شامخ،

وشموخك اكتمل بالحطة والكوفية....

بطَلْتَك القمباز بتِكْمَل هيْبْتَك

ومن وُجَهاء القرية والعشائرية...

وتتباها بْطَلْتَك البهية....

إن كنت مَعْزوم

بجاهَة أو صُلح بقضية

وخصوصيتك بالقمباز راحة نفسية وجسدية

وقادر تتحرك فيه بصُبْح وعشِّيِة....

والفلسطينية

أطلقوا عليه اسم ثوب المؤت

والنخوة العربية

ولبسوه أجدادنا وآباؤنا والباشوية

والشيء الجميل هي الذاكرة الشعبية

رمز الأصالة والرجولة والهوية

لكنَّه واجه الاندثار

واختفت قيمته المعنوية

ولكل زمان له خصوصية

اَخ يا زمان!!!

وين القمباز والحطة والكوفية؟

استرجاع النشاط بالذكريات الشعبية

يوغا الضحك

حديثي اليوم عن التنفيس والتخفيف من ضغط الحياة، كيف الإنسان بإمكانه يقطف شيء من لحظات سعادة وهناء، كيف (يرّوق) ويريّح باله؟؟

الضحك. هو أداه تجعلنا نتعامل مع الحياة بشكل أكثر تحملا، بوسيله الضحك نصل إلى هدف الهدوء والاسترخاء العميق، نشعر بلحظات صفاء وهدوء، مهمة للقلب والدماغ.

الضحك مناسب لكل الأشخاص.

والشخص الذي اخترع يوغا الضحك، هو رجل هندي اسمه (كاتاريا)

كانت بداية مسيرته التعليمية لليوغا، لأشخاص مساكين يضربوا بعضهم.

وهذا الرجل علَّمهم كيف (يهدُّوا من عصبيتهم) بطريقة الضحك وراحة النفس من أجل زيادة هرمون السعادة لديهم، مع دمجه للرياضة.

ويوغا الضحك: –تقنيه تمزج بين الضحك والتنفس العميق لعافية الجسم والروح.

قد تبدو فكرة غريبة، وغير مجدية، ولكن مع المشاركة في جلسات يوغا الضحك، ستشعر في البداية بغرابة!

حين تستمع وتشاهد المقاطع الصوتية والحركات المفاجئة، كأنك تشاهد عرض كوميدي، وبالمبادرة بالابتسامة أو الضحك تلقائيا، ودمج الفعاليات تشعر أنك تضحك من القلب.

سأشرح عن نفسي، أولاً أنا لم أتعلم (اليوغا) لكن مارستها عدة مرات في أثناء زيارتي للهند، وأيضا لي كان لي صديقة أجنبية، تعلمت منها كلّ فترة حين نجلس جلسة استرخاء وضحك، كيف أكون هادئة وسعيدة ولو للحظات.

واليوم أنا ومجموعة (نادي الجيل الذهبي) سأشرح لكم، ما معنى يوغا الضحك؟

لكن، على طريقتنا الشرقية الأصيلة.

أحسست أن الوسيلة المحببة لذلك كي نشعر ببعض سعادة وراحة، ونخفف من ضغوط الحياة هي أن نحاول أن نستعيد شيئاً من الطفولة في داخلنا. فالطفولة وحدها هي التي تجعل الإنسان يبتسم، ويضحك من الأعماق! الطفل الذي بداخلنا نحن النساء سواء كنّ متزوجات أو غير متزوجات، جدات أو جدات، فكل واحدة منّا لها ماضٍ طفولي جميل! نحن الصديقات في النادي عزمنا على ذلك، على أن نخرج الطفل الذي بداخلنا بنطاق الضحك، ورجعنا للوراء ونحن

صغار. مثلا حين كنّا نشارك أو نشاهد العرس، وخاصة وقت (زيانة العريس) أو الحلاقة. لقد مثَّلنا أننا نلعب برغوة الصابون، ونمسح وجوه بعضنا بصابون الحلاقة، تمثيلا وضحكنا

من الأعماق ها ها ها... وهكذا، بين كل تمرين، كنا نأخذ نفساً عميقاً ونسترخي!!

والتمرين الثاني قمنا بتجديد ذكرياتنا ونحن صغار.

صرنا نركض وراء باص (الفاردة) حين يأتون بالعروس، ونسوق ونحرِّك بأيدنا كأننا نسوق الباص والسيارة، كان مشهد التمثيل هذا، والعودة للطفولة باعثاً للسعادة والراحة، فبرجوعنا للوراء لطفولتنا الجميلة... والبريئة، ضحكنا كثيرا، وشعرنا بالسعادة!!

ومن الأشياء التي قمنا بها من أجل التنفيس والتخفيف من ضغوط الحياة، تخيلنا الجوّ ماطراً، وأننا نلعب تحت المطر!!

وركضنا وضحكنا كثيراً... وبطريقة الضحك، رفعنا معدل الاكسجين.

ورفعنا نسبة هرمون الأندورفين وهو من هرمونات السعادة في الجسم.

ومن الطرق أيضاً التي قمنا بها، لنشعر بالسعادة، أننا تخيلنا أنفسنا في الهواء الطلق، في الربيع

نلعب ونقطف الأزهار، ونشمها بنفس عميق (شهيق) ونستمتع بعطرها ضحكاً!! وأيضاً نشعل الشموع ثم نطفئها ونخرج الزفير.

هكذا يمكن للإنسان أن ينتصر على ضغوطات الحياة ولا يستلم للحزن والهموم، في ماضينا جمال، وسعادة، وذكريات بوسعنا أن نستعيد بعضاً منها ونشعر بالسعادة، مع أهلنا مع أصدقائنا... لأن العقل يقرأ الضحك بطريقة إيجابية، وذاك يؤثر على وظائفه ونشاطه

صدق من قال:(اضحك تضحك لك الدنيا.)

نحن سعداء لأننا نضحك.

❁❁❁❁❁

طبلية أمي

حديثي اليوم عن (طبلية) أمي.

هل تعرفون ما هي الطبلية؟

الطبلية من الحاجات التي كان لها أثر جميل في حياتنا.

هي تشبه طاولة الخشب المعروفة، لكنّها دائرية الشكل وقصيرة، ولا ترتفع عن الأرض سوى من 25-35 سم، يوضع عليها الطعام بدل وضعه على الأرض، وتجتمع العائلة حولها لتناول الفطور أو الغداء أو العشاء. هذا علماً أن بعض القرى في شمال فلسطين يستعملون المصطلح ليدلّ على الدربكة أو الطبلة الصغيرة التي للبنات، فيقولون (طبلية)، أما الكبيرة فيسمونها طبلة أو دربكة، فكأنهم يصغّرون الاسم حين يستعمل للصغار.

الطبلية، ببساطتها، كانت تجمع الأسرة، مألّفةً نوعاً من الترابط الأُسري.

يا لبساطتها! حين نلتم حواليها!! وأمّي ترقّ العجين والفطير عليها أحياناً!!

أيام الطبلية لا تنسى! كانت البركة تملأ الدار، وصوت الشوبك والنشاب* يصل للجيران، وكلّ واحدة من الجارات تنتظر دورها بشغف.

لحظات جميلة ونحن ننتظر الصواني حين تخرج من الفرن، كأنها لوحات فنية مرسومة بيد فنان، برقائق العجين والطحين، ثم توضع على الطبلية!!

والجميع كنا (نقعد ونوخذ راحتنا مربعين رجلينا حول الطبلية).

صحيح أن الطبلية ليس لها أرجل مرتفعة كالطاولة، لكن دائرتها والطعام فوقها توحي لك أنها مركز الكون على هيئة الكرة الأرضية!!

القعود حولها، كان له نظام يجعلك تشعر أنّ لها هيبة واحتراماً.

واليوم!!!

تغير كل شيء، لم يعد هناك طبلية، ولا أطباق زيت الزيتون الجديد والزعتر البلدي، وخبز الطابون، ولا جلوس على الأرض! أصبح الطعام يوضع على الطاولة، وحولها كراسي! الطبلية تغيرت، والطعام تغير أيضاً!!

* الشوبك أو الشوبق أو النشابة أو المدلاك.. أسماء معربة تعني الأداة التي تستخدم في المطبخ لرق وفرد العجين منها الخشبي ويكون على شكل أسطوانة بمقبضين، ومنها الشوبك الآلي وهو عبارة عن أسطوانتين معدنيتين أو مطاطيتين يمرر العجين بينهما ليفرد ويرق.

من يوم ما أصبحت الطاولة المستطيلة أو البيضاوية جزءاً رئيساً مع مقاعدها، قلَّت البركة، وقلّت المحبة أيضاً!

راحت أيام الطبلية، وراحوا ناسها.....رحم الله تلك الأيام ما أجملها!

أمّي وعادة الصحن الطائر

حديثي هذا اليوم، عن عادة شعبية تراثية، تمثل قيمة إنسانية وعربية إسلامية، حضّ عليها ديننا الحنيف، وهي التعاون، والمحبة وتبادل الهدايا في المناسبات ودون مناسبة رسمية.

أنا أسميه الصحن الطائر؛ ذاك الذي كان تملأه أمي وغيرها من الجارات في بلدنا، بهدية من طعام أو حلوى في مناسبة ما! إلى باقي الجيران والأقارب! لذا سميته الصحن الطائر، لأنه كان كأنه يطير بين البيوت يقدم هدية ما، ويرجع بهدية مقابلة!!

أقول: سقى الله أيام زمان خيراً ما أجملها!!

رحم الله أيام الصفاء والمحبة، عندما كان الأهل والجيران يتبادلون الأطعمة الشعبية واللذيذة، في ليالي رمضان، وغير رمضان! وكان كلُّ بيت له ميزة خاصة بالصحن الذي يبعث فيه!! كان له نقوش تمثل رسمة معينة، كأنها أجمل اللوحات الفنية المشهورة.

أمي –رحمها الله– كانت تكرس بعضاً من وقتها لتوزيع الطعام في الصحون، خلال شهر رمضان المبارك وستة أيام من شوال. وفي اليوم السادس من شهر شوال بعد انتهائها من الصيام، تبدأ بالاحتفال. كنّا نصحو على رائحة التُرمس والفول، تكون جاهزة في الصحون للتوزيع على الأهل والجيران. كان ذلك اليوم بمثابة احتفال لنا. هذه عاده توارثتها أمي منذ زمن قديم كابراً عن كابر، وجيلاً بعد جيل!! وجرى تداول هذه العادة بين الجيران.

أمّي، كانت رمزاً من رموز الصورة الإنسانية، التي تُعبّر عن التواصل والتراحم والألفة بين الجيران. فبعد انتهائها من صوم رمضان وستة أيام من شوال، تبدأ بتحضير الترمس والفول قبل شروق الشمس. ونحن كنّا نتسابق بحرارة لنرسل الصحون إلى الجيران!!

هذه المشاهد من المحبة والألفة، لا نشاهدها في أيامنا هذه! ولا حتى في رمضان شهر الخير والبركة. إن عادة توزيع الصحون في الأيام المباركة كانت جزءاً أساسياً من سلوكيات الشهر الفضيل. وكنّا نشعر بسعادة غامرة، عندما نرجع بالصحن ملآناً من خيرات جيراننا. فكما أهدينا لهم، يهدون لنا مما تيسر لديهم!! لم يكن الأمر مقصوراً على رمضان، بل كان عاماً في مناسبات أخرى أيضاً؛ فإذا قامت جارة بعمل (سليقة قمح) مثلا أو ربّ بندورة، كان لا بد

أن تبعث للجيران شيئاً مما صنعت، كانت إذا نجح ولد أو بنت لها في الثانوية العامة، كانت ترسل طبقاً من حلوى للجيران. وهم بدورهم يأتون للتهنئة.

لم تكن هدايا الطعام تعبر أنّ الناس بحاجة لطعام، بقدر حاجتهم للمحبة والاهتمام!! كان الصحنُ يعبر عن حبٍّ ومودة واحترام بين الجيران، قبل أن يُملأ بالطعام.

لقد كانت قلوب الناس مهيأة لهذا؛ لما فيها من صفاء وحبّ للخير.

وتعززت هذه العادة وقويت في نفوس الأجيال التالية، وتواضعت عليه، وصارت جزءاً من الموروث الشعبي الاجتماعي، ولم تنتهِ إلا بعد مطلع التسعينيات من القرن الماضي!!

ما أحوجنا إلى أن نجدد هذه العادة اليوم، فيعود المجتمع فيه بعض روابط المحبة والتعاون والألفة، فذلك من جزءٌ من ديننا القائم على الوحدة والتعاون.

❁❁❁❁❁

أبي
والنوستالجية

حديثي اليوم، عن أبي رحمه الله، الذي أطلق عليه المصطلح المعروف ب(النوستالجية). الذي في أصله مفهوم يوناني الأصل، ومركب من كلمتين "nostos"وتعني عودة و"algos" وتعني معاناة.

النوستالجية إذاً، معاناة تُسببها الرغبة غير المشبعة للعودة إلى الماضي، فهي تُعبّر عن الحنين الشديد للتراث، والعادات الشعبية القديمة في الزمن الذي مضى، ما يسبب الشوق والألم الذي يعانيه الإنسان في حنينه هذا للعودة إلى بيته وموطنه وأهله، وخوفه ألا يتمكن من العودة أبداً.

وأنا قصدت بهذا المصطلح أبي الغالي!! فهو رمزٌ للنوستالجية؛ أبي (الحاج أحمد إبراهيم زيد الكيلاني) رحمة الله عليه، الذي كان رمز الأصالة الفلسطينية. ورمز الشهامة وكان رجل إصلاح ودين بمعنى الكلمة.

اشتهر أبي بتحضير القهوة العربية، قهوة السادة. وبصورة دائمة، فقد كان (دِلال) القهوة جاهزة، في كل المناسبات. كان يشتري القهوة، ويضعها في المقلى، على النار، ثم يقلّبها، حتى إذا نضجتْ، طحنها، وأضاف لها الهال!!

كان حين يقوم بغلي القهوة، تفوح رائحتها بكل الأرجاء، تستطيع أن تشمّ عبقها من بعيد كزهر فواح!!

كانت له مضافة خاصة يستقبل بها الضيوف والأقارب والأصحاب. مضافته واسعة ومفروشة بالفراش العربي والمخدّات والمساند، وفي وسطها طقم القهوة والأباريق النحاسية. هذه المضافة كانت غرفة كبيرة، لا أذكر في حياتي أنه أغلق بابها، الذي كان مفتوحاً على مصراعيه، لاستقبال ضيوفه، من أجل مناقشة بعض القضايا أو المشكلات الطارئة، التي تبحث عن حلول؛ كالقضايا العائلية، بين الأقارب أو حتى بين الزوج وزوجته.

كان – رحمه الله–قوياً لا يستسلم مهما كانت المشكلة صعبة ومعقدة، لذا تنتهي كل المشكلات في مضافته بانتصار وحلّ. لا يحب الهزيمة ولا الفشل!! كان رجلاً صارماً وعادلاً لا يرضى الظلم لأحد! منصفاً لحقوق المرأة، ومسانداً الضعيف والمظلوم.

كان يذهب إلى المسجد للصلاة ماشيًا وواثقاً من خطوته، كأنه ملكاً، يتأنق بلباسه الأصيل، القمباز والكوفية. وكان له مكانته وقيمته وهيبته عند كل كبار البلد وعلماء الدين.

كانت كلمته مفهومة ومتزنة ومسموعة! كان شيوخ البلد وما فيها من معلمين يستمعوا لِحِكَمِهِ وأفكاره ويرددونها بالمجالس، وبدور العلم، وكان رحمه الله معروفاً بالكرم والجود والقناعة أيضاً.

وكان الناس والمحتاجون يأتونه من غير موعد! ونراه على الدوان مستعداً للاستقبال، قد هيأ نفسه لكل طارئ.

أنا لا أمدح أبي بهذه الصفة وحده! بل كانت صفة كبار السن من المشايخ والحكماء، فعصرهم كان عصر حكمة ورزانة، يحترمون آراء بعضهم، ويقدّرون الزيارات ودخول البيوت، لا يتعاملون بالرسميات! ليس كرجال هذا الزمن الذي نعيشه، لا يقبلون زيارة دون اتصال مسبق! حتى لو كانت من محتاج أو قريب!

أبي لم يكن يهمه وقت الزيارة! أكان على الغداء أم العشاء أم الإفطار، لسانه حاله يقول: يا هلا ومرحباً بكل زائر...!

كان صاحب مقولة جميلة: (لقمة هنية بتكفي ميّة).

وإلى جانب كل تلك الصفات، كانت شخصيته شجاعة، لا يخشى إلّا الله سبحانه وتعالى. ولعلّ قُرْبَه من الله أعطاه هذا الدعم والقوة والهيبة، لذا كانت مخافة الله من طبعه الأصيل. فبعد صلاة العصر يبدأ بتلاوة القرآن، كنا نصغي له وهو يرتل القرآن ترتيلا.

كان صوته يجوب أنحاء البيت، فيسود الهدوء والطمأنينة والأمان! نعم وجوده داخل البيت كان يرفع من درجة الشعور بالرضا والأمان!

لم يكن يضع حدوداً بينه وبين أعمال البيت! حتى عمل المطبخ، كان يقبل عليه كلما ساعده الوقت على ذلك! ففي شهر رمضان تراه يقوم بتحضير (السَّلَطَة) وكان لها رونق وهي تخرج من تحت يديه! رونق وذكرى جميلة.

وفي رمضان وبعد صلاة العصر، كان يبدأ بتحضير أشهى ألوان الخضار، ويُزيّن كلّ صَحْنٍ لأفراد العائلة. وأحفاده يصطفون من حوله، وينتظر كل واحد صحنه، فرحين بما يقوم به. حتى أنهم حين أصبحوا شباباً وتزوجوا وفتحوا بيوتاً كانوا يقلدونه في إعداد (السَّلَطة) لأولادهم، ويطلقون عليها (سلطة سيدي).

توفي أبي رحمه الله، وورث أبناؤه عادته، في تحضير القهوة السادة، وأتقنوا إعدادها، وتميّز بها الابن البكر (زياد كيلاني ابو أحمد) والابن الأصغر (زهدي كيلاني أبو بشار) حفظهم الله ومدّ في أعمارهم.

❁❁❁❁❁

موسم الطائرات الورقية

فصل الخريف

حديثي اليوم عن الطائرات الورقية في فصل الخريف.

فصل الخريف، فصل الذكريات والحنين للماضي، بتقلب الطقس فيه، وظهور الغيوم على ارتفاعات متوسطة، وهبوب الرياح أحياناً، وحرارة الجوّ بين ارتفاع وانخفاض! فصل تتساقط فيه كثيرٌ من أوراق الشجر، وتحملها الرياح مسافات بعيدة! نحبّ الخريف، فلنا فيه ذكريات جميلة... أصبحت من ماضينا.

في هذا الفصل، تظهر ألعاب مخصصة للأطفال، فلكل فصل ألعابه وفق حالة الجوّ، لكنّ الخريف يشهد لعبة الأطفال المحببة وهي التحليق بالطائرة الورقية.

لعبة الطائرة الورقية من تصميم أولاد الحارة أيام زمان! وهي تصنع من الخشب والخيوط والورق المقصوص فأعواد الخشب تربط بشكل دائري أو بيضاوي غالباً يشبه شكل الطائرة، وتوضع قصاصات الورق على جوانبها وتكون طويلة نوعاً ما، ويربط طرفها بخيط طويل، وتلقى من نافذة مرتفعة أو من على سطح

البيت، حتى هبت النسائم، حركت قصاصات الورق فطارت قليلاً ورفعت الطائرة، في الفضاء، وجرّتها النسائم وفق اتجاهها!!

كان أولاد الحارة يتسابقون؛ أيهم طائرته ترتفع أكثر وتبتعد عن البيت!! حتى الناس في بيوتهم ينظرون إلى طائرات الأطفال وهي تطير في الهواء... بشيء من السرور.

تكاد تكون هذه الهواية في زمننا هذا معدومة، وإن وجدت اليوم، فقد تغيرت، وأصبحت تباع، وغدت مصنوعة من النايلون البلاستيكي الخفيف. بينما كانت طائرة الورق يصنعها الأطفال بأيديهم، يشعرون بسعادة وهم يصنعونها، ويمضون وقتهم في هذه الهواية...!! ثم ينتظرون عودتهم من المدرسة ليلقونها في الفضاء مع هبات الرياح أو النسائم.

ما أجمل تلك الأيام!! التي كنّا نجلس ونشاهد الطائرات الورقية وهي تحلق في السماء، كنّا نراقبها، وخلال ذلك تمرّ أسراب الطيور المهاجرة، على أشكال مختلفة في نظام عجيب رائع.

كان النظر إلى السماء والجبال متعة للنظر، وراحة للنفس، لذلك كان خيالنا واسعاً مستمداً من الطبيعة الجميلة!

أين أطفالنا بهذا الزمان من كلّ هذا؟

يا ترى هل يُحَلِّقون بالنظر إلى السماء ويستمتعون بمشاهدة الطيور المهاجرة والطائرات الورقية أو يلعبون بالأوراق المتساقطة!؟ نحن الكبار نفتقد لهذه الالعاب والذكريات الخريفية.

نبكي لرحيل أعمارنا، كما تبكي الاشجار لرحيل أوراقها.

لو تأملنا أكثر في فصل الخريف، لأخذنا منه مجموعة من العبر!! وهذا لا يكون إلا بالتأمل العميق في دورة الحياة! وعلاقة عمر الإنسان بفصول السنة!!

مختار قرية منشية زبدة

حديثي اليوم عن عمي الذي كان مختاراً لقرية (منشية زبده) واسمه عبد الحليم الكيلاني رحمه الله. أخصص له حديثاً لأنه كان من رجالات القرية، الشعبيين التراثيين، في شخصيته وصفاته وطبعه.

كان رجلا اجتماعياً قيادياً، مبادراً ومهتماً بشؤون القرية، يجامل الناس ويجاملونه، وله علاقات واسعة.

كانت له مضافةٌ يستقبل فيها الناس وأصحاب الحاجات، له صفات تميّزه عن غيره؛ فهو يثق بنفسه كثيراً، يفكر فيما يقول، يبدي رأيه بكل شجاعة، خاصة في حلّ المشاكل التي كانت تُطرح في مضافته. يبادر إلى اتخاذ القرارات، التي تكون لمصلحة القرية وأهلها. ولا يتأثر برأي الآخرين بسهولة، ويعبر عن وجهة نظره بشكل صريح.

يحب الاستماع للآخرين، ويناقشهم ويحاورهم، لكن قراره مؤثر، فهو يملك القدرة على الإقناع؛ لأنه نابع من حبّه لقريته، لذا كان قراره يصبّ في مصلحة الجميع. وفوق ذلك كله، اشتهر بتواضعه، وبعده عن الكِبْر، والترفع عن الناس، لذا كان قريباً من نبض الشارع ومشاكل الناس.

وامتاز – رحمه الله–بعلاقاته الواسعة مع أصحاب المناصب ورجال الحكومة، فقد كانت لغته قوية واضحة، يستطيع إقناعهم بوجهة نظره، وتوصيل أفكاره وأهدافه ومطالبه. كانت استراتيجيته واضحة، وقد جعلته صراحته وجرأته– غالباً–في صراع مستمر مع بعض الناس، وكأنه في حلبة المصارعة، لا يكلّ ولا يملّ!!

كان مناصراً للأحزاب اليسارية، لدرجة أنهم كانوا يحاولون معه ليدخل الحلبة السياسية، في (الحملة الانتخابية)، لكنه كان يرفض رفضاً قاطعاً، وكان جوابه مقنعاً لهم.

لماذا؟

لأن بوسعه تحقيق ما يريد، من المطالب وهو خارج تلك الحلبة، فقد كانت كلمته مسموعة من أعلى المستويات؛ من رئيس الحكومة حتى العامل البسيط. فقد حصل مرة على مطلبه، وقام ببناء مدرسة للقرية، وعالج البنية التحتية من تزفيت الشوارع، وفتح صندوق للمرضى، واستطاع بناء مسجد في القرية، بصدق ونزاهة. كلُّ هذه الصفات، أكسبته ثقة أهل القرية من الأقارب والأباعد.

واشتهر عمي رحمه الله، بالمهارات التنظيمية والأساسية في إدارة الوقت، وتحديد الأولويات لشؤون القرية. تلك القرية بلده، التي اعتبرها مملكته، وهو الوليّ عليها، لذا كان عُيّن مختاراً لها.

كان – رحمه الله–رجلاً قادراً على الخطابة في جموع الناس، وبكلام مؤثر وبليغ. يبعث فيهم الحماسة والاحترام، الهمّة والنخوة لمساعدة الضعيف وكلّ محتاج.

كان رمزاً للرجل العربي صاحب الانتماء، فحضوره بزيّه الرسمي والحطة والعِقال ومضافته المفتوحة زادته احتراماً ومحبة من الناس.

كان زواره من كل الطبقات، وقد زاره أصحاب المناصب في مضافته، وكان يقوم بتحضير مذكرة فيها مطالبه التي تحتاج إليها قريته، قبل قدومهم إليه؛ لعرضها عليهم ومناقشتهم فيها. وكان يكرمهم بكل ما تيسر لديه، ولا سيما بالقهوة العربية والطعام والفواكه؛ لأنّ المهم عنده أن يحقق مطالبه لقريته.

وقد تغير الزمان اليوم!! فصار إذا قرّر رجلٌ من أصحاب هذه المناصب زيارة قرية من القرى، تغلق الشوارع، وتقام الحفلات، وتقدّمُ أشهى المأكولات، إضافة إلى طاقم التصوير الخاص، كلّ ذلك من قبيل المباهاة والتفاخر.

وتراهم يجتمعون ويأكلون ويشربون، ولا يأتون على الحدث المهم الذي يؤرقنا جميعاً، وهو كثرة القتل، وفقدان الأمن والأمان، وقضايا العنف والفساد!!

فكيف تكون الزيارة ناجحة، وهم لا يتطرقون لهذه الموضوعات؟؟

إن هذا ما يجعل الناس وهي تشاهد وترى كيف تتم هذه الزيارات، أن تقتنع أن الهدف من هذه الزيارات هو تحقيق مصالح شخصية فقط، بعيداً عن مصالح القرى.

رحم الله من مضوا عند ربهم، وما يزال كبار السن يذكرون أعمالهم الصالحة في خدمة بلدهم وأهلهم، وأصلح الله أحوالنا جميعاً.

الزمن كفيل بالنسيان!

حديثي اليوم هو: هل صحيحٌ أنّ الزمن كفيلٌ بالنسيان.

واعجبي عليك يا زمن؟!

كنا زمان نلهو ونلعب، نستمتع بطفولتنا، وبساطتنا!

كنّا نسمع الكبار في السن، يقولون:" الزمن كفيل بالنسيان". نتعجب من هذه الجملة، ولم نفهمها!! نتساءل: لماذا يرددون هذه الجملة؟ وبخاصة في مناسبة حزينة، مثلاً، عندما تكون جنازة بالحارة!

كنت أخاف من كلمة جنازة. ليس المعنى الخوف من الموت والمصير! (لا وألف لا) كنتُ أخاف على مشاعر أمي، أخاف من شدة حزنها بهذا اليوم! لم أدرك حينها لماذا كل هذا الحزن، الذي يصيبها عندما تعود من الجنازة!

كان الهدوء والسكون يعمّ البيت، ما إن تعود حتى تدخل غرفتها وخلوتها، حينها أذهب خلفها وأسترقُ النظر؛ لأرى أمي ماذا تفعل؟

كنت أراها جالسة، وأمامها كوم من الغسيل، ترتبه، وبيدها أبرة الحياكة، وهي جاهشة بالبكاء!! لم يكن بوسعي إلّا أن أقف حزينة عليها! وليس بيدي، حيلة! ولا أريد ان أقطع عليها خلوتها بسؤالي ؟؟؟ لماذا تبكين يا غاليتي؟

ألا تعلمين أنّ دموعك غالية، يا مهجة قلبي؟؟

في نفس الوقت، تأتي جارتنا، وتلتقي أمي، وتتحدثان، بحزن بالغ وأسف!! أبدأ بالتركيز فيما تقولان، محاولاً أن أفهم فحوى الحديث وسبب الحزن هكذا على المتوفى. أفهم أن الحزن كائن للفراق، وكائن شفقة وعطفاُ على من ترك خلفه من أهل بيته، فمن سيساعد زوجته؟ ومن سيربي أطفاله؟

وأسمع الجملة ذاتها المكررة دائما :(الزمن كفيل بالنسيان) !!

ومرت سنين كثيرة، وتكرر مشهد الجنازة، وتكررت الجملة ذاتها!!

بمضي الزمن، وزيادة الوعي عندي، أدركت المعنى، أصبحتْ أمّي كبيرة في السنّ! أصبحت عاجزة عن أداء بعض الأعمال، أخذ الكبر يظهر، على ملامحها ويطوي تجاعيد وجهها. ثمً أصابها المرض، وجاء أجلها، وتوفيت...! أخذ الحزن يغمر حياتي، والسواد تسلل إلى وجهي، من شدة الحزن والبكاء على رحيلها.

بعد رحيلها، جاء دوري بالانطواء في خلوتي. حينها أدركت مغزى قولهم: (ألزمن كفيل بالنسيان)!!

نعم الحياة مستمرة. لكن الحزن يبقى بالقلب إلى الأبد. يبقى مكبوتاً في طي النسيان، ولا نظهره لأولادنا! لماذا؟؟ من أجل سعادتهم ومشاغلهم بالحياة،

لأننا حريصون على سعادتهم كثيراً، ولا نريد أن يعكّر صفو حياتهم شيءٌ، كبيراً أكان أم صغيراً !! عودناهم أن نحمل عنهم الأثقال المادية والمعنوية، وربما هذا أضرّ بهم كثيراً...!!

علمناهم على الأنانية، وحبّ النفس، وهذا خطأ! صاروا بعد هذه العادات التي لم نتربَ عليها نحن، لا يستطيعون الاعتماد على أنفسهم إلا بشق النفس! صاروا لا يُقدّرون الموت، ولا الحزن! هيأنا لهم الحياة بكل ما نستطيع، كي لا ينقصهم شيء!

صارت الجنازة تمر من أمام البيوت مرّ الكرام، وصار يوم الوفاة يومياً عادياً جدا، حتى داخل البيوت تكون الحياة عادية. نجلس أمام التلفاز، ونأكل أشهى المأكولات، غرقنا بمتاع الدنيا. ولم ندرك أنّ أنانية أولادنا، دفعتهم إلى عدم الاهتمام بما يحدث حولهم! وقد أصبحوا بعد ذلك ضحية المجتمع الأناني. فمن يسير على سيرة والديه؟ من يشعر بالآخر؟ تربيتنا اليوم خاطئة، ونحن الكبار ندفع ثمن ذلك بكل أسف! أصلح الله أحوالنا...وأعاننا على الخير.

دراجة ساعي البريد الضائعة

حديثي اليوم عن شيء صار من الماضي، وما عدنا نشاهده، ألا وهو ساعي البريد، الذي كان يركب دراجة ويحمل المكاتيب القادمة عبر البريد، ليوزعها على عناوينها المسجلة على كل مكتوب.

كان ياما كان، في قريتنا ساعي البريد

ساعي البريد أبو الخير والهمم

من صفاته نزيه وراعي ذمم

يوزع الرسائل والطرود على دراجته

كل أسبوع، يأتي لحارتنا بمهارته

كان يعرف كل حارات البلد وناسها وعنوانهم

كان متل حمّال الأسيّة والأشواق

ينقل الأخبار للناس ويحفظ أسرارهم

ويوصل الرسائل للعائلات والعشاق

ممكن أخباره تزيد من أحزانهم أو أفراحهم

كان يشارك أهل البلد بمناسباتهم

والكل ينتظره باللهفة والشوق

لعلّه يحمل رسالة من قريب أو عزيز.

لقد كان لهذا الرجل دور اجتماعي وإنساني.

كان محبوب من الكبير ومن الصغير.

كان يخصص جزأً من وقته ليقرأ الرسائل للنساء العجائز، التي لهن أولاد مغتربين، وكنّ ينتظرن قدومه بفارغ الصبر.

أما اليوم، ومع تطور التكنولوجيا، تلاشت دراجة ساعي البريد أبو الخير.

احتلت التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصال كثيرا من المهن، ومنها مهنة ساعي البريد!!

اليوم صار تلفونات وبلفونات وجوالات من كلّ الأنواع...!

صار في رسائل إلكترونية تصل إلى هدفها سريعاً.

ولم يعد الناس بحاجة إلى ساعي البريد.

لأن اختراع الحواسيب وأجهزة الاتصال وربطها بشبكة الانترنت، ووجود البريد الإلكتروني اختصر الوقت والجهد والمسافات، وصار يغني عن التعامل بالمراسلات الورقية.

أصبح البريد والرسائل الورقية من التراث، وغابت معه كثير من المظاهر المرتبطة فيه، وبذاك الزمن الجميل بطقوسه الجميلة.

وتغيرت كل ملامح الرسائل وذاكرة البريد.

لكن ظلّت المهنة قائمة إلكترونياً بلا مشاعر!!

وانسحب ساعي البريد من حياتنا، وضاعت درّاجته في زحمة وسائل التواصل الحديثة. مثل الإيميل والاس أم أس.

أصبحت الرسائل اليوم خالية من المشاعر، من الصدق في أغلبها، ليس فيها محبة ولا شوق ولا لهفة!! صرنا لا نكتب ولا نتواصل إلا لغرض ومصلحة، عكس الزمن الماضي، الذي كان الناس يكتبون الرسائل بدافع المحبة والشوق والاستفسار عن أحوال بعضهم!!

لم يعد أبو الخير اليوم موجوداً، ولا دراجته أيضاً، كلاهما رحل!!

أمّ زيد

اليد المباركة

حديثي اليوم عن امرأة عايشتها، ورأيتُ عزمها وهمّتها، في مهنتها التي جعلتها تدخل كلّ بيت، مساعدة للناس. إنها أمّ زيد، من بلدي يافة الناصرة.

اشهدي يا بلد!

على تلك المرأة الأصيلة، التي حَمَلَتْ الحبَّ الصادق، الذي لا يمكنُ لأحدٍ أنْ يُشكك فيه! هي رمزه الوفيّ النبيل.

هي العطاءُ الكامل دون حدود!

كانت تقومُ بعملها الإنساني، حتى دون أن تنتظر شيئاً! ولو كان كلمة شكر طيبة!!

هي الطبيبة والمداوية لكل الجروح والأحزان في بلدي.

اشهدي يا بلدي!!

هي من مشتْ في البرد القارص، والحرّ اللافح، واستجابت لنداء كلّ من طَرَقَ بابها، ولبّت نداءه؛ لتداوي الأطفال من الذكور والإناث، مما يصيبهم من أمراض شائعة، وذلك بالأعشاب الطبيعية، وزيت الزيتون، وغيره مما هو موجود في بلادنا. وقد وفقها الله وشُفِي على يديها كثيرٌ منهم، وأصبحوا الآن آباء وأمهات، وربما صار بعضهم أجداداً.

كانت أمّ زيد الحاجة صبحية رحمها الله، دائماً سباقة لفعل الخير، لذا تُعدّ رمزاً للطيبة والحنان. لذا كانت تجالس الأمهات في بلدتها، وتستمع لمشاكلهنّ، وتقدم النصح والحلول لهنّ.

وربما بسبب طيبتها وبساطتها، وإيمانها الشديد فَتَحَ الله على يديها مواهب كثيرة، أفادت بها المجتمع المحلي؛ فإلى جانب أنها كانت تداوي المرضى، وتدور من بيت إلى بيت، مبتغية الأجر والثواب من الله، فقد كانت أيضاً معتزّة بتراثها الشعبي، تحفظ من الأهازيج والتهاليل والأشعار والأمثال الشيء الكثير!

ولعلّ هذا جعلها محلّ طلبٍ دائماً من معارفها، في البلدة.

وكانت إلى جانب تلك الصفات، مشهورة بالطبخ في الولائم، كانت ذات خبرة ومهارة يشهد بها الناس في بلدتها.

كان الناس في الأعراس، يأتونها طالبين مساعدتهم لتطبخ وجبة الغداء لأهل العريس في الفرح.

كان أسْرَتُها تُشفقُ عليها من شدّة التعب الذي يلحق بها جرّاء أعمال الطبخ الشاقة في الأعراس، لأنّها لم تردّ طالباً دعوتها المشاركة والإشراف على عملية الطبخ، رغم ما كان يصيبها من عناء ومشقة وإعياء أحياناً، بسبب تنقلها من موقد إلى موقد، تفحص هذا القِدْر ثم تتوجه لقِدْر آخر، متحمّلةً وهج النار والدخان المنبعث من احتراق الحطب!!

وما أزال أتذكر، حين كان يأتيها واحد من هؤلاء أصحاب الأعراس، وتحاول أن تفصح أن صحتها لا تساعدها على المشي الطويل، كيف كان يأتي لها بالسيارة لتحملها وتذهب إلى تحضير الطعام هناك، لتشارك وتشرف، ويكون الطعام صادراً عن رضاها..!

اشهدي يا بلدي!!

أمّ زيد تستحق الكثير من الذكر، فهي مدرسة في العطاء والانتماء؛ مدرسة تراثية أصيلة، يعرفها الناس في بلدتي، ويشهدون بفضلها وأصالتها!

لم تكنْ أمّ زيدٍ رحمها الله ادّعي معرفة كلّ شيء؛ بل إن علمها الشعبي، اكتسبته عبر التجربة بمضي السنين، وذاكرتها القوية، وفطانتها، لذا كانت إذا وجدت

أنّ المرض يحتاج طبيباً متخصصاً، كانت تصارح أهل المريض بذلك، وتنصحهم أن يأخذوا مريضهم إلى المشفى أو طبيب متخصص لعمل الفحوصات اللازمة وتلقي العلاج.

ومن الأمور التي كانت تعالجها، الإسهال، والمغص والاستفراغ، ومن طرق العلاج التي كانت تستخدمها الحجامة، وكاسات الهواء، إضافة إلى استخدام النباتات كالنعناع والميرمية وحبة البركة والحلبة وزيت الزيتون والعجين وغير ذلك.

وفوق ذلك كله، لم تكن ترضى أن تأخذ أجراً، إنما كانت تبتغي الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى!!

الرُّقية أو التخريجة:

وأعود الان إلى الرقية الشرعية أو التخريجة التي تعالج الحسد والسحر، هكذا تُسمّى، والرُّقية هي العوذة أو التعويذة، والتخريجة أي ما يستعان به من كلام لإخراج الحسد أو السحر من الإنسان. واللفظان مستعملان، وطريقتهما واحدة، فكلّ كلماتها (الرُّقية أو التخريجة) مستوحاة من الإسلام، من آيات قرآنية وتسبيحات، وذكر لله، وصلاة على النبي المصطفى الأمين سيدنا محمد.

الرُّقية كانت من أول مراحل العلاج، وكانت مفضلة عند الناس من الذهاب للأطباء. وذلك بسبب قلة المال بين أيديهم، ونتيجة للمعتقدات، فهم يؤمنون بالرّقية، ويقولون إنها مباركة، شافية، فأجدادهم ساروا عليها واستعملوها.

الرقُّية كانت تحصل بحضور الوالدة الحاجة صبحية الكيلاني أم زيد (الداية)

التي كانت تأتي لتقوم بالرّقية، وحين تصل، تضع قطعة في المقلاة الموضوعة على النار وتضعها أمام المريض، وتغطي الرأس بفوطة أو قطعة قماش، وتبدأ بقراءة الفاتحة مرة واحدة ثم قراءة المعوذات ثلاث مرات.

ثم تقول:

اللهم صلِّ على سيدنا محمد.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد

اللهم صلّ على سيدنا محمد بدر التمام

حوَّطك بالله من عيني وعين خلق الله.

من عين أمك وعين أبوك.

حوَّطك من عين إللي بحسدودك

حوّطك بالله والصلاة على النبي

اللهم صلّ على سيدنا محمد

اللهم صلّ على سيدنا محمد

اللهم صلّ على بدر التمام

اللهم صلّ على سيدنا محمد ألف كرّة وألف مرة

عين الحسود فيها عود

وعين الجار فيها نار

عين الضيف فيها سيف عين الزلمة فيها حَلَمَة

عين المرة(المرأة) فيها مرمرة

عين البنت فيها حُشْت (جرح)

عين الشب فيها حَب

والعين الي ما تصلي على النبي تنقلع.

اللهم صلّ على سيدنا محمد

اللهم صلّ على بدر التمام

ثم تذكر البسملة عشر مرات: بسم الله بسم الله بسم الله بسم الله بسم الله بسم الله بسم الله بسم الله بسم الله بسم الله.

وتقول بعدها:

والحاكي (اللي بحكي أثناء التعويذة) لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

ثم تخاطب السحر وتقول:

تطلع بالليل تصهل صهيل الخيل

لاقاها السيد سليمان

بين البراري والوديان

قالها شو أنتِ ياناعلة. (أي ما من تسبين وتؤذين)

قالتله أنا العين مفرّقة الخيين (أي التي تفرّق بين الأخوة)

ماخذي الولد المولود والشب الشبوب

ماخدي العروس من مُجَلاّها (أي آخُذُ العروس من المكان الذي تتزين به)

والعريس من مزفته (أي من المكان الذي يُزفُّ فيه إلى عروسه)

والبقرة من مرعاها والعنزة من مزراعها

قالها

لا باس لا باس

لأسكب عليكِ الفضة والرصاص

وأرميك في بحر غطاس، لا يقطع فيك ولا يرميك غير الفضة والرصاص

اطلعي (أي اخرجي) يا عين

بجاه الحسن والحسين (أبناء سيدنا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه)

اطلعي يا عين (أي العين الحاسد أو السحر)

من الراس والعنين (أي من العينين)

اطلعي يا عين من الايدين والرجلين.

بجاه الحسن والحسين

اطلعي يا ناعلة يا منعولة (أي ما تسبين وتؤذين الناس والناس تسبّك)

يا مفرقه الخيين (أي الأخوين)

اطلعي يا خسيّة (أي من خسئتِ بعملك هذا وأذاك للناس)

يا رديه يا ساكنه البرية

اطلعي من الراس والعينين

اطلعي من الايدين والرجلين

اللهم صلّ على سيدنا محمد.

ثم تقرأ آية الكرسي وهي: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

وتكرر آخر عبارة (وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) فيها سبع مرات.

وتكون ماسكة خبزة، أو شوي من الملح، والإيد الثانية على الرأس أو الرِّجل، وتقرأ وترشّ الملح إلى الخارج، وتقول: اطلعي يا عين يا جارحة، اطلعي يا عين جارحة، وتسكب أحيانا على مقلاة الفضة الساخنة ماء وترشه للخارج وهي تقول: اطلعي يا عين يا جارحة...

ويعتقد الناس أنّ العين الحاسدة أو السحر يخرج من المريض المحسود أو المسحور، بعون الله تعالى.

رحمك الله رحمة واسعة يا أمّي الغالية!

فقد كنتِ، نِعْمَ الأمّ والأخت والجارة والصديقة، ومنبع الوفاء والصدق!! ا

لقد كُنْتِ القوة وقت الضعف...

والأمل عند اليأس ...

والفرح وقت الحزن ...

والصبر وقت الشدة...

قدسية المنديل

حديثي اليوم عن المناديل، القماشية والورقية.

كان الإنسان في طوره القديم يستخدم المناديل القماشية التي عليها رسوم معبرة، كانت هي الأساس، لا يسير الإنسان في الشارع أو الطالب في المدرسة إلا معه منديله!

كان يمسح به عرقه، ويزيل مخاطه إذا لزم الأمر! ولم يكن استخدام المنديل يقف عند هذا الحدّ؛ بل كان لها استخدامات أخرى شعبية ذات دلالات متعارفٌ عليها.

كان لها قدسيتها وطابعها الخاص، وذكرياتها غنية عند الناس، فقد كانت تستخدم لتشابك الأيدي وقت عقد القران للزواج، واستخدمت لمسح الدموع عند الحزن لحظة البكاء، واستخدمت للتلويح عند الوداع، وللرويس في أثناء الدبكة في الأعراس، ولكي يمسح الفلاح عرقه وقت الحصاد...!!

كانت بدلة الرجال تُزيّنُ وتتوج بمنديل بالجيب العلوي.

واليوم...!!

تحرر الإنسان من غسيل المناديل القماشية، حين اخترعت المناديل الورقية الناعمة، تلك التي انتشرت على نطاق واسع في أرجاء العالم!

وأصبحت هذه المناديل الورقية جزءا رئيسياً من لوازم كلّ بيت، حتى لم نعد نتخيل الحياة بدونها.

والصحيحُ أنها أسهمت في رفع مستوى النظافة وعناية الإنسان بنفسه، لسهولة الاستخدام، واستبدالها مباشرة بغيرها بعد أن تستعمل.

وفي المقابل، إذا استخدمناها فإننا نلقيها في سلة النفايات، فلا يكون لها ذكرى معنا أبداً!

لقد استخدمت المناديل القديمة رمزاً فنياً يعرفه الجيل القديم، حين كانت مطربة الشرق أم كلثوم، لا تغني إلا وبيدها منديل، يكون معها مرافقاً لحركاتها، ووقوفها أمام الجمهور. قيل إنهم سألوها لماذا تصرّ على التمسك بالمنديل عند الغناء، والصعود أمام الجمهور!

قالت: إنّ أباها هو الذي أهداها هذا المنديل، وهي تشعر بتوتر حين تواجه الجمهور، لكنها إنّ أمسكت بالمنديل، فإنها تشعر بالدف والطمأنينة!

لقد جسّد المنديل، تلك القطعة القماشية المربعة الصغيرة قداسة المعنى الرومانسي المعبّر عن معاني الحبّ والوفاء الحقيقي والإخلاص، لذاك الزمن الأصيل الذي مضى!!

لكنّ السؤال الذي يمكن أن نسأله هو:

- هل يمكن للمنديل القماشي أن يعود ويظهر ثانية؟ أم أنه ولّى إلى غير رجعة؟

الصحيحُ أنه لن يعود، وسيبقى أثراً تراثياً خالداً، يتذكره كبار السنّ، وتلك الأجيال التي عايشته، وشاهدت استخداماته، وهي تندثر رويداً رويداً!! فلا شيء كان وبقي، أو أبقاه التطور التكنولوجي المتسارع، لا المهباش ولا الجاروشة ولا والقِدْر...كلّ شيء يذهب ويصبح ذكرى!!

❁❁❁❁❁

ورقة الغار

حديثي اليوم عن نبتة عطرية فوّاحة، تستعمل في طهي الطعام.

إنها ورقة الغار!

التي لا يستغني عن استعمالها امرأة أو مطبخ في المنزل!

هي بنظري رمز العظمة، والانتصار!

كيف لا؟ وهي ورقة العطر الزكية!

رائحتها كالمسك الطيب، نكهتها مميزة، أخاذة!!

ورقةٌ من شجرة شامخة، عالية!!

جذورها عميقة، متفرعة غُرست فيها الطيبة والعطاء والجمال!

يا ورقة الغار! يا طائرةً على بساط الريح! يا محلقةً في سماء الصفاء، أنت مكانتك عظيمة! وضعوك في رفوف المطبخ، كي تظلي أمامي أعينهم، مع الفُلفل والزنجبيل وسائر أصناف البهارات الرائعة!!

تكونين في الأعراس حاضرة، في قدور الطعام، فوق المواقد، والنساء حولك في غناء وفرح كبير..!!

الكلّ يراك وأنت تتقلبين فوق المواقد في القدور، أنت تزيدين أجواء الفرح ألفة ومحبة وجمالاً...!!

أصبحت المناسبات لا تكتمل بهجتها إلا بوجودك، وبصمتك في الطهي!

اليوم ومع التقدم في حياة الإنسان، واختفاء القدور والمواقد، غير أنك باقية حاضرة!! لكن نكهة طهي النار والحطب اختفت، ولم تعد هناك نساء يطبخن وينفخن، ولم يعد هناك مواقد!! صار الطبّاخ رجلاً ومعه طاقمه الخاص، صار هو الذي يطهو طعام الأعراس والمناسبات!!

كثير من الأشياء اختفت بتقدم حياة البشر، لكنك حافظت على البقاء، رغم اختلاف طرق الاستعمال والأدوات...واجتماع النساء حول القدور التي توضعين فيها...!!

ما أعظمك يا ورقة الغار حافظتي على جوهر الحضور!!

الجيران بين الماضي والحاضر

حديثي اليوم عن العلاقة والترابط بين الجيران، كيف كان قديماً؟ وكيف أصبح في أيامنا هذه ؟

كانت العلاقات بين الجيران فيما مضى، يسودها الوئام والمحبة، والاحترام. وبينهم تقاسم مشترك، يعيشون كما قيل (على الحلوة والمرة)، أي في السرّاء والضراء معاً بقلوب واحدة.

حثّ الإسلام على أن تكون العلاقة بين الجيران طيبة قائمة على الصدق والمحبة وحفظ الودّ، وقد ورد في حديث النبي عليه الصلاة والسلام قوله: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه).

وورد في الأمثال الشعبية تأكيد هذا المعنى، فقالوا (جارك القريب ولا أخوك البعيد). وقالوا (الجار قبل الدار).

لذا للجار حق المحبة والمودة والعون ولح حرمته، فلا يجوز الاعتداء على ممتلكاته وماله وعرضه، هو أخٌ وقريبٌ له حقوق كثيرة، لا يجوز نكرانها، وله حدود لا يجوز تجاوزها أيضاً.

وقد مثّل العرب هذه الحقوق والتزموا بتلك الحدود خير تمثيل، فكانوا إذا صنع أحدهم وليمة كان الجار أول المدعوين لها، وإذا صنع طعاماً شهياً كان يرسل

لجاره شيئاً منه، وقد تحدثنا عن (السليقة) وقلنا إنّ الجار كان له حصة منها، ولعل هذا التراحم كان سبباً من أسباب البركة في الطعام والشراب عند الناس قديماً.

لذلك كان الجار يستعين بالجار، وكأنه فردٌ من الأسرة، فعلى سبيل المثال، عند بناء بيت، فكان الجار يحتاج مساعدة جيرانه الأقارب والأباعد في صبّ السقف، فكان يدعو جيرانه ويأتون من الصباح الباكر، ويتعاونون على تحضير الرمل والإسمنت والحصى ورفع ذلك إلى السطح، ويقوم صاحب البيت بصنع وليمة لهم، فيذبح لهم خروفاً أو يصنع لهم غداء مما تيسر له، حسب وضعه. وكانت الجارات يجتمعن لدى صاحب البيت، ويساعدن زوجته على إعداد الطعام، كنّ يحتفظن حتى بملابس العمل المخصصة للصبة، ولا يذهب الجار إلى مساعدة جاره إلا وقد أخذ معه دلوا أو (طورية) أو (كريك)، ليخفف عن جاره فيما يحتاج. وبعد أن ينتهوا من (الصبّة) ويتناولون الغداء يباركون لصاحب البيت، والنساء تطلق الزغاريد ابتهاجاً وفرحة ببناء البيت لجارهم.

كان الجار يحب الجار، ويعذره إن غاب أو تأخر عن واجب، كانت القلوب بيضاء نقية، فيها صراحة وحرص على دوام العلاقة الدافئة. وفي موسم الزيتون يفزعون لمساعدة بعضهم، وفي موسم الحصاد لا يرضون أن يبقى جار لهم في

الأرض يحصد وحده بينما هم قد أكملوا حصادهم!! كانت هناك غيْرةٌ وشهامة لدى الجيران..!!

سقى الله أيام زمان خيراً فقد كانت جميلة لها طعم جميل!!

أين جار اليوم من جار الأمس؟؟

كلّ شيء تغير!! ومع تغير الأدوات انقطعت أواصر المحبة بكل أسف بين الناس!! أصبحت صبّة الباطون اليوم تأتي جاهز تحملها (خلاّطة) تسكب الباطون الجاهز عبر الرافعة إلى سطح في ساعة من الزمان!! لم يعد الناس بحاجة إلى دعوة بعضهم ولا إلى صنع وليمة!! حتى صاحب البيت، قد لا يكون حاضراً صبّة سقف بيته!! يكفيه وجود المقاول وبعض العمال.

وحلّت الحصادة مكان الحصادين، فما كان يأخذ شهرا أو أياما في الحصاد، أصبح خلال وقت قصير جاهزاً، ومغربلاً...أيضاً!!

لقد تغيرت معاني الجوار ولم تعد تحمل ثقل ضخامة معناها.

اليوم أصيبت العلاقات بين الجيران بالفتور والانجماد التام، لم يعد فيها حرص ومحبة وغيرة!! ولم يعد هناك حق لمراعاة مشاعر الجار ولا مراعاة ظروفه.

بل إنك تجد في المدن كثيرا جداً من الجيران لا يعرفون أسماء جيرانهم، خاصة الذي يكنون الشقق والعمارات العالية!! فكيف يكون هناك تواصل وتراحم ومحبة؟؟؟

وفي كثير من الأمثلة، أصبح الجار مصدر أذى وقلق لجاره!! انقلب الأمر من المحبة إلى العداء والبغضاء... ومن تمني الخير إلى تمني الشرّ!!

إن انتقال الناس إلى الحياة العصرية حياة الحضارة والآلة، جعل علاقات الناس وعلاقات الجيران تنهار رويداً رويداً!!

وربما كان ذلك سببه إن إيمان الناس قد ضعف، فكل شيء قديماً كان الناس وبإيمان البساطة يردونه إلى الله، أما اليوم، فقد زاد وعيّ الناس، وقلت ثقتهم –للأسف– ببعضهم، فالآلة جعلتهم يتخلون عن بعضهم، ولم يعد مفهوم الجار قبل الدار معمولاً به اليوم!! أصبحت المصالح هي التي تجمع الناس لا القلوب والإيمان والواجب!! نسأل الله أن يتلطف بنا، ويغير هذا الحال إلى أحسن منه...اللهم آمين.